الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية





وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: أدب و حضارة عربية

عنوان المذكرة

علم الإستغراب: المصطلح، النشأة، و الوظيفة.

من إعداد الطالبة:

- بلخوان خديجة

إشراف الأستاذ

*د : بايوش جعفر

السنة الجامعية:

1437هـ-1438 هـ

2016 م/2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم، و الصلاة و السلام على الحبيب المصطفى محمد سيد المرسلين و على آله و من والاه إلى يوم الدين أما بعد:

-في ضوء الإهتمام بالإستشراق -من حيث الانبهار به أو التصدي له أو محاولات الالتفاف عليه -ظهرت فكرة قيام حركة مواجهة، تعني بالغرب، ثقافة و فكرا و أدبا وعادات تقاليد، ومما حدا ببعض المفكرين العرب المعاصرين إلى أن يدعوا إلى قيام علم الإستغراب ليأتي هذا العلم مواجها للتغريب " الذي امتد أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية و تصوراتها للعالم، و هدد استقلالنا الحضاري بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية و نقاء اللغة و مظاهر الحياة العامة و فن العمارة."

فعلم الإستغراب إذن هو العلم الذي يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحي العقدية، و التشريعية، و التاريخية، و الجغرافية، و الإقتصادية، و السياسية و الثقافية....إلخ و هذا المجال لم صبح بعد علما مستقلا، و لكن من المتوقع في ضوء النهضة العلمية التي تشهدها البلاد العربية و الإسلامية تقوم مراكز البحث العلمي ووزارات التعليم العالي في العالم الإسلامي بشد الهمم و تسرع الخطي لإنشاء أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علميا ميدانية تخصصية في المجالات العقدية و الفكرية و التاريخية و الإقتصادية و السياسية.

و من هنا يمكن كذلك تحديد كلمة المستغرب ، و هو الذي يتبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب و آدابها و حضارتها و التعبير بـإحدى هنا يوحي بالتخصص الدقيق في مواجهة الإستشراق بالإستغراب.

و لكن الإشكال الذي يبقى مطروحا .ما هو علم الإستغراب كمصطلح؟ و فيما تعود نشأته؟ و في ماذا تتمثل وظيفته؟

و للإجابة على هذه الإشكالية تطرقت إلى معنى و مفهوم هذا العلم بمفاهيم متعددة كما تناولت مختلف مجالات دراسته.

و يرجع سبب اختياري للموضوع علم الإستغراب هو ميولي الشديد للإكتشاف و الوصول للمعرفة شتى الميادين المتباينة المتناولة من طرف هذا العلم، و تمسكي بالتعرف على الحضارة الغربية من جميع نواحيها.

و لا يفوتني ذكر الصعوبات و العراقيل التي صادفتها في مشوار بحثي و هي قلة المصادر و المراجع الخاصة بعلم الإستغراب و لا يخفى علينا أنه علم حديث النشأة، مع صعوبة تحميل الكتب الإلكترونية و من أهم المصادر المستعملة نذكر منها" مقدمة في علم الإستغراب " لدكتور حسن حنفي،" و سؤال الإستغراب في النظام المعرفي الإسلامي " لدكتور عادل بن بوزيد عيساوي، و الإستغراب لموجز تاريخ النزعة المعادية للغرب ليان بوروما و أفيشاي مرغلين.

و قسمت موضوع مذكرتي المعنون بـ : علم الإستغراب :المصطلح، النشأة و الوظيفة إلى مدخل و مقدمة و ثلاثة فصول و ملحق و أنهيته بخاتمة حيت تطرقت فيها لأهم النتائج.
حيث تناولت في الفصل الأول التحديد اللغوي و الإصطلاحي لعلم الإستغراب مع ماهية الغرب من حيث الميلاد، النهضة، التفوق و قلق الهوية، و نشأة هذا العلم و جذوره امتداده، و كذلك تناولت فيه العائد المعرفي للدراسات المتأملة في الغرب في الدول الإسلامية كما تطرقت فيه إلى و ظيفة علم الإستغراب و مهمته، أما في الفصل الثاني فتناولت فيه إلى مفهوم الإستشراق :لغة و اصطلاحا، و مدى الفرق بين علم الإستغراب و الإستشراق، كما تناولت فيه أهمية دراسة الغرب، و نتائج علم الإستغراب، و غاياته و أهدافه، و أما في الفصل الثالث و أخيرا فكان على شكل دراسة مقارنة تتمثل في رؤية الغير للأنا الأوربي، حيث احتوى على فائض الإنتاج و القوة العسكرية و كذلك سطوة العلم و ثورة المعلومات وأيضا مجتمع الرفاهية و الخدمات و كذلك ريح الحرية في أوربا الشرقية كما تناولنا فيه موقفنا من التراث الغربي و أخيرا الأنا و الأخر و الذاكرة الثقافية أما المبحث الثاني يتمثل رؤية الذات لأنا الأوربي تمثلت في عقل الغرب و صعود الغرب و بعدها في المبحث الثالث تناولنا مقارنة بين الوجهتين أما بالنسبة للملحق فتعرضت فيه لأهم المفكرين و

الباحثين الت كانت لهم دراسات في علم الاستغراب كما تناولت فيه تلخيص بسيط لكتاب مقدمة في علم الإستغراب لدكتور حسن حنفي.

و قد مزجت بين المنهج التاريخي خاصة في الفصل الأول و الثاني و المنهج التحليلي الوصفي في الفصل الثالث.

و يعتبر هذا البحث بمثابة حصيلة جهدي المبذول طوال هذه السنة، و إذا ارتكبت أخطاء أو هفوات، فإن صدر ذلك إلى أن القصور طبع في الإنسان، و أن الكمال لله وحده.

و أخيرا، أرجوا مخلصة أن أكون قد ألقيت بعض الضوء على جانب هذا العلم و الذي يعتبر علما مقابل لعلم الإستشراق.

أتمنى أن يكون هذا البحث قد انطوى على بعض الفائدة، و أن يكون فال خير على مستقبلي "فيكن أمل لمن يأتون بعدي، فسيثقون من معينه، كما أرجو من الله سبحانه و تعالى أن يجعله ثمرة حصاد خير وفلاح.

كما لا أنسى أن أحمد الله عز وجل، الذي أنعم علينا بالصحة و العافية، و أنار لنا السبيل في إتمام هذا العمل فأحمده و أشكره على ما أنعمه علينا، و هدانا إليه.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدوني على إتمام هذا البحث و لو بالكلمة الطيبة.

و في مقدمتهم الأستاذ المشرف " يايوش جعفر "الذي كان لهم الفضل الكبير، و الرأي السديد، في نضج عملي هذا، و الذي رعى على إتمامه، و لم يبخل علي بالنصيحة و الإرشاد و التوجيه.كما أتقدم بفائق الشكر و التقدير للعائلة الكريمة التي سهرت من أجل نجاحي و تفوقي .

الإهــداء

قال تعالى:

"وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"

إلى من أعزهما الله و رفع من قدرهما ... من كانا سنداي في هذه الحياة ... من أفاضا علي من حنانهما حتى ارتويت ... من زرعا بسمتي و مسحا دمعتي ... إلى من لهم علي فضل سأظل أدين لهم به ... من باركا مساري التعليمي فكانا مثلي الأعلى في الصدق و الوفاء.

الوالدين حفظهما الله.

و إلى من شاركوني الحياة بأفراحها و أحزانها.

إلى كل من يحمل لقب بلخوان.

إلى كل من علمني حرفا ، و أخص بالذكر الأستاذ الفاضل الدكتور بايوش جعفر.

و إلى جميع طلبة كلية الأدب العربي و الفنون خاصة دفعة 2016 و/2017 م.

بلخوان خديجة

كلمة شكر

"الحمد لله الذي أعاننا على إنجاز هذا المجهود"

أولا و قبل كل شيء أحمد الله عز وجل على عونه لنا، و أمرنا بسلطان علمه، و أشكره على جميع نعمه، كما أشكر والديّ حفظهما الله، و أطال في عمريهما، ثم أتقدم بالشكر و التقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور "يايوش جعفر" لعنايته الخالصة و ما قدمه لي من توجيهات قيمة لإخراج المذكرة في صيغتها النهائية .

بلخوان خديج

الإستغراب :

يمكن تعريف الاستغراب أسوة بالإستشراق فنقول هو طلب علوم الغرب أي دراسة الغرب (لأوربا وأمريكا بما في ذلك روسيا وأوربا الشرقية) من جميع الجوانب: لغة، وعقيدة، وتاريخا واجتماعا، وسياسة، واقتصادا ولابد أن نفرق بين مصطلحين هما التغريب والاستغراب فالتغريب هو ما حاول الغرب أن يفرضه على الشعوب الإسلامية من تبني الفكر الغربي والمناهج الغربية و الطروحات الغربية في شتى مجالات الحياة، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والعمران أو هو سلخ الشعوب من هويتها الأصلية إلى هوية غريبة عنها في الهوية الغربية، وأطلق على من تبني الفكر الغربي متغربين أو مستغربين أي مالوا إلى الغرب. ولكننا هنا نقصد دراسة الغرب دون التنازل عن الذات.[1]

لماذا ندرس الغرب؟:

ولعل سائلا يتساءل لماذا ندرس الغرب ؟ وكيف لنا أن ندرس هذا العالم الذي سبقنا بمراحل عديدة أو بعدة قرون؟ ليس صعبا أو مستحيلا، فإننا إذا رجعنا إلى بداية الدعوة الإسلامية وجدنا أن المسلمين الأوائل حينما خرجوا لنشر الدعوة الإسلامية في العالم كانوا متسلحين بسلاح العلم بعقائد الأمم الأخرى وعاداتها وتقاليدها. كانوا يعرفون أرض الدعوة سياسيا واقتصاديا وجغرافيا.ولعلك تسأل من أين تحصلوا على هذه المعرفة. لقد كان رجال قريش تجارا وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف، لم يكونوا يحملون معهم التجار ويذهبون للبيع والشراء فحسب، بل كانوا على إطلاع بأنظمة الدول الأخرى وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أما الناحية العقدية فقد عرفوا منها شيئا في اتصالهم بهذه الشعوب وجاء القرآن ليوضح لهم حقيقة اعتقادات اليهود والنصارى وغيرهم.[2]

ولذلك فإن المسلمين الأوائل لم يجدوا صعوبة في التعرف على الشعوب الأخرى والتفاعل معها وأخذ ما يفيدهم مم لدى الأمم الأخرى من وسائل المدنية، حيث أخذوا الديون والبريد

---

[1]- علاء الدين أحمد خليفة، ضياء العسل، الاستشراق والاستغراب، بتاريخ 11 نوفمبر 2013، Diyaaasal.blogspot.com/2013/11/ blog-post-n.html-

[2]- مازن صلاح مطبقاني، من أفاق الكلمة، متى ينشأ علم الاستغراب، بتاريخ 19 يونيو 2012. سا: 10:00 . Mazinmattabagani.blogani.blogspot.com/2012/06 blogpost-990.html ?sfref=

وبعض الصناعات المهمة مثل صناعة الورق (الكاغط) التي طوّرها المسلمون حتى أصبحت صناعات إسلامية.[3]

ويرى البعض أننا نجد لمحات من دراسة الغرب في كتاب أسامة بن منقذ الاعتبار الذي تناول فيه جوانب من حياة الصلبيين فوصف طباعهم وأخلاقهم وتحدث عن مزاياهم وعيوبهم. ومن أطرف ما ذكره في هذا الكتاب مسألة العلاقة بين الرجل والمرأة وضعف الغيرة من الرجال على النساء بل لعلها تكون معدومة أحيانا فلا يرى الرجل بأسا أن تتحدث زوجة مع رجا أجنبي وقد تختلي به بل هو الذي يتركها مع الرجل الأجنبي ويطلب إليها أن لا تتأخر مثلا.

ونحن اليوم في حاجة إلى معرفة الغرب، ولعل بداية دراسة الغرب كانت فيما نقله رفعت رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وغيرها عن أوربا وكان من أبرز ما اهتم الاثنان بجوانب من الحياة الاجتماعية في الغرب وعلاقة الرجل بالمرأة، وكانت تلك النظرة التي ظهرت في كتابات التونسي والطهطاوي في وقت كانت قوة الغرب في عنفوانها وكان العالم الإسلامي يقاسي من ويلات التخلف فلا بد أن يصاب هؤلاء بالانبهار بالنموذج الغربي وإن كان قد حاولا أن يربط المحاسن الغربية (في نظرهم) بما في الإسلام.[4]

وعلى حسب ما سبق عن سبب دراسة الغرب وهو أنه من أجل معرفته ودراسته من جميع النواحي: علميا،اجتماعيا،اقتصاديا،سياسيا، على غرار الاستشراق الذي كان هدفه الهيمنة والسيطرة على الشرق وانتهاكاته له.[5]

كيف ندرس الغرب:

لابد من التخطيط الفعال في هذه القضية إن أردنا أن ننجح حقا في التعرف إلى الغرب والإفادة من المعطيات الإيجابية للحضارة الغربية، ويحتاج هذا الأمر إلى عشرات اللجان في العديد من الجامعات العربية والإسلامية لوضع الخطط اللازمة لهذه الدراسات. ولكن حتى ليتم ذلك لابد من التفكير في الطريقة المثلى لهذه الدراسات.[6]

[3]- الموقع نفسه.
[4]- الموقع السابق
[5]- الموقع نفسه.
[6]- مازن مطبقاني، مركز المدينة المنورة للدراسات وبحوث الاستشراق www.madinacentre.com/post.php ?datald=231.

وفي العالم الإسلامي يكاد لا ينقصنا دراسة اللغات الأوربية ولكننا بحاجة إلى من يتعلم هذه اللغات ليصل إلى مستوى رفيع في التمكن في هذه اللغات وبالتالي الدراسة في الجامعات الغربية والتركيز على قضايا الغرب وليس لدراسة موضوعات تخص العالم الإسلامي. فنحن بحاجة إلى من يعرف الأدب الغربي كما يعرّفه مثلا البروفيسور إدوارد سعيد الذي استطاع التعمق في فهم العقلية الغربية من خلال آدابهم، كما أننا بحاجة إلى من يتعمق في علم الاجتماع الغربي ليتعرف على مجتمعاتهم كأنه واحد منهم ولم تعد هذه المسألة صعبة فإن الغرب اليوم كثيرا من المسلمين من أصول أوربية وأمريكية يستطيعون التعرف على بيئاتهم معرفة حقيقية ولا يعوقهم شيء في التوصل إلى المعلومات التي يرغبون في الحصول عليها.[7]

ودراستنا للغرب لاشك ستختلف عن دراسة الغرب لنا ذلك أن الغرب بدأ الاستشراق فيه منطلقا من توجيهات وأوامر البابوات لمعرفة سرّ قوة المسلمين وانتشار الإسلام في البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية وكان القصد ليس فقط معرفة الإسلام والمسلمين ولكن كانت أيضا لهدفين آخرين أحدهما تنفير النصارى من الإسلام، والثاني إعداد بعض رجال الكنيسة للقيام بالتنصير في البلاد الإسلامية وبعد هذه البداية ظهرت أوربا الاستعمارية فكاد لابد أن يواكبها أو يسبقها معرفة بالبلاد التي يراد استعمارها فتكون لدى الغربيين أعداء من الخبراء بالعالم الإسلامي ساهموا في تثبيت دعائم الاستعمار. ولازال الغرب حريصا على استمرار نفوذه في العالم الإسلامي ليسهل عملية وصول المواد الخام للبلاد الغربية وإعادتها بضائع مصنعة لترويجها في العالم الإسلامي.[8]

أمّا نحن فحين نريد دراسة الغرب ومؤسساته وهيأته فأولا نحن بحاجة للأخذ بأسباب القوة المادية التي وصلوا إليها أليس في كتابنا الكريم ما يؤكد هذا " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ "[9]. فكما يسعى الأمريكيون مثلا للتعرف على الإدارة اليابانية وسر قوة الإنتاج والتقدم السريع لليابان فإننا أيضا بحاجة إلى أن نعرف

[7]- الموقع نفسه
[8]- الموقع السابق
[9]- سورة الأنفال الآية60.

أسباب القوة لديهم، كما أنهم استطاعوا تطوير آليات تطبيق الأنظمة في حباتهم في مجال الإدارة والصناعة واقتصاد وفي التعليم وفي الثقافة.

والأمر الآخر أننا ندرس الغرب فليس لدينا تطلعات استعمارية فما كان المسلمون يوما استعمارين وكم يعجبني رأي محمد جلال كشك في كتابه (ودخلت الخيل الأزهد) في الدفاع عن الدولة العثمانية بأنها لم تكن ولا يمكن أن توصف بأنّها دولة استعمارية وأتى بالأدلة والشواهد على ذلك. ولكننا نريد أن نحمي مصالحنا ونفهم طريقة عملة الشركات المتعددة الجنسيات التي ابتدعها الغرب وأصبحت أقوى نفوذا في كثير من الحكومات.

والأمر الثالث وله أهميته الخاصة وهو أن هذه الأمة هي أمة الدعوة والشهادة فإن كان الأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يكلّفون بدعوة أقوامهم فإن الدعوة الإسلامية موجهة إلى العالم أجمع وقد كلّف المسلمون جميعا بجمل هذه الأمانة " **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن** "[10] وهذه الرسالة الخاتمة ليست نظاما عقديا فحسب بين العبد وربّه كما هو الأمر في النصرانية التي يزعم أتباعها أن عيسى عليه السلام قال " **دعوا ما لقيصر لقيصر وما الله لله** " ولكنها نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي وأخلاقي وفكري ونحن أمة شهادة فكيف لنا أن نشهد على الناس دون أن نعرفهم المعرفة الحقيقية.[11]

الخطوات العملية المؤسسة لعلم الاستغراب:

نظّم المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن محاضرة بعنوان: قواعد عملية لتأسيس علم الاستغراب، ألقاها د.مازن مطبقاني، بحيث تطرق من خلالها على أهمية قواعد العملية لتأسيس علم الاستغراب كالتالي:

أولا: القرار السياسي، فقد نجح الفكر الاستشراقي في تفحص العقلية العربية من خلال التعاون الكبير بين المستشرق والسياسي، فدراسات الاستشراق لم تنشأ إلا بدعم حكومي سياسي.

ثانيا: البحث عن ذوي العقليات المبدعة والمبتكرةوأصحاب الرسالة.

ثالثا: توفر الباحثين الراغبين في دراسة الاستغراب على قدرات وملكات عقلية ولغوية جيدة.

---

[10]- سورة يوسف الآية 108.

[11]- موقع السابق.

رابعا: توفر مكتبة تضم الكثير ما كتب عن الغرب، على غرار مكتبة الدراسات الأمريكية بطوكيو.[12]

خامسا: الدراسة الميدانية، إذ لا يكفي أن تدرس الغرب وأنت بعيد عنه ولابد للباحث من اقتحام ميدان الدراسة والدخول في حياة أصحابه، فليس من رأى كمن سمع.

سادسا: الاستعانة بالمفكرين الغربيين الذين كانت لهم رؤى متميزة في نقد الحضارة الغربية لمعرفة مواطن القوة والضعف في الحضارة الغربية.

سابعا: الاستعانة بالكفاءات الإسلامية التي تعيش في الغرب.

ثامنا: معرفة الإسلام معرفة تأصيلي واعية، إذ الوعي بتراث الذات يمكن الباحث من التمايز عن الآخر. وتجنب حالة الاستلاب له والتماهي معه.

تاسعا: التعرف على برامج ومناهج الدراسات الأوربية ومناهج الدراسات الأوربية والأمريكية في بلدان شرقية مثل: روسيا والصين واليابان، وبرامج الدراسات الأمريكية في أوربا، وبرامج الدراسات الأوربية في أمريكا ...الخ، للاستفادة من مناهج البحث والتحليل والتفسير المعتمدة في هذه الدراسات.

عاشرا: الاهتمام بالترجمة، لما تمثله من قنطرة مهمة في نقل تراث الآخر.[13]

[12]- عبادة السيد، المجتمع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، قواعد عملية لتأسيس علم الاستغراب بتاريخ 24 نوفمبر 2014.

[13]- الموقع السابق.

المبحث الأول: مفهوم علم الاستغراب

1 -التحديد اللغوي:

لقد تعددت المعاني وتباينت لمادة غرب في التعريف اللغوي ومنها ما جاء في معجم تاج العروس لمحمد مرتضى الآتي:

وغرب: (الغرب) قال ابن سيده: خلاف الشرق وهو (المغرب) وقوله تعالى " **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** "[1]أحد مغربين أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، وأحد المشرقين: أقصى ما تشرق منه، وكذلك أحد مغربيها أقصى المغارب في الشتاء وكذلك الآخر وقوله جلّ ثناؤه: " **فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ**"[2] جمع، لأنّه أريد أنها شرق كل يوم من موضع وتغرب موضوع انتهاء السنة.

والغرب: (النشاط والتمادي) في الأمر، والغروب: غروب الشمس: غربت الشمس تغرب غروبا ومغربانا: عابت في المغرب، وكذلك غرب النجم.[3]

وجاء في قاموس المحيط للفيروز أحادي معاني مختلفة هي كالتالي:

تغرّب: أتى من المغرب

والغربيّ من الشجر: ما أصابته الشمس بحرّها عند أفولها، ونوع من التمر، و صبغ أحمر، و الفضيح من النبيد.

وغرب: غاب كغرّب، وبعد. واغترب: تزوج في غير الأقارب واستغرب وأغرب: بالغ في الضحك.

والتغريب: أن يأتي ببنين بيض، وبنين سود، ضد. وأن تجمع الثلج والصقيع فتأكله.

والمغرب بفتح الراء: الصبح، وكل شيء أبيض[4].

كما تباينت معاني ذلك في معجم لسان العرب لابن منظور كالآتي.

---

[1]- سورة الرحمان- آية 17.

[2] سورة المعارج اية 40

[3]- محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس، دن: بيروت،، ط1 2007، مجلة الثاني، ص 286.

[4]- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ، دن نوبلس بيروت، ط1 2006، مجلد الأول ص 181.

وغرّب القوم: ذهبوا في المغرب، وأغربوا: أتو الغرب، وتغرّب أتى من قبل الغرب، والغرب الذهاب وللتمحي عن الناس.

والخبر المغرب: الذي جاء غريبا حادثا طريفا، والتغريب: النفي عن البلد. وغرّبت الكلاب: أمنعت في طلب الصيد. وغربة.

وغرّب عليه: تركه بعدا، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب. وأغرب الرجل: صار غريبا، حكاه أبو نصر.

والغريب: الغامض من الكلام. واستغرب الدمع: سال، والغرب: الماء الذي يسيل في الدلو.[1]

2/التحديد الاصطلاحي:

جاء في التعريف الاصطلاحي "لعلم الإستغراب" لدى الدكتور أحمد سمايلوفيتش كالآتي: وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لعلم الاستشراق وعلاقته بالاستغراب واهتمامه البالغ بالشرق وبكل ما يتعلق به، فالجدير بالباحث أن يتساءل هل لدى الشرقيين علم شبيه به، يدرسون فيه كل ما في الغرب من حضارة وأداب وفلسفة وأديان ونظم وفنون، لهم فيها منهجهم وفلسفتهم وطريقتهم وهدفهم أو بالأحرى هل لديهم علم الاستغراب كما لدى أولائك علم الاستشراق، حقا أن العرب قد اهتموا اهتماما بالغا في العصر الحديث بحضارة الغرب وأدابها، فأرسلوا البعثاث إلى معاهده ومراكزه العلمية وقاموا بترجمة كثير من الكتب والدراسات والمؤلفات ونشرها ونقدها، ومع ذلك فإنّه من الصعوبة أن يقطع أحد بوجود علم ا لإستغراب له كيانه ومنهجه ومدارسه وأهدافه وأصحابه واتباعه، أو إنّه علم أبلى رجاله في فهم حضارة الغرب بمثل ما أبلى المستشرقون في فهم الحضارات الشرقية.[2]

كما يمكن تعريف الاستغراب علميّا: بأنّه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب بجميع النواحي العقدية، والتشريعية، والتاريخية، والجغرافية و الاقتصادية والسياسية والثقافية...الخ وهذا المجال لم يصبح بعد علما مستقلا، ولكن من المتوقع في ضوء النهضة العلمية التي تشهدها البلاد العربية والإسلامية أن تقوم مراكز البحث العلمي ووزارات التعليم العالي

[1]- جمال الدين أبي فضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب. الجزء الأول، ط1 2003 -1434، ص747

[2]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة: دار الفكر العربي 1998، ص35.

في العلم الإسلامي بشحذ الهمم وتسرع الخطي لإنشاء أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصيصية في المجالات العقدية والفكرية والتاريخية وا لإقتصادية والسياسية.[1]

ويقول حسن حنفي: الإستغراب هو الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الإستشراق " فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر "الغرب"، يهدف "علم الاستغراب" إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الآخر بتحويله في موضوع مدروس، إلى ذات دراسة مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام العرب، لغة وثقافة وعلما.[2]

وجاء في تعريف آخر لمصطلح ا لإستغراب أنّه بعيد كل البعد عن المعنى اللغوي والأصلي، يبد أنّه لامانع من الاجتهاد وفي هذا المجال، مادامت قواعد علمي الصرف والاشتقاق تسمح بذلك وعلى ها الأساس تمت الصياغة الاصطلاحية المعاصرة لهذه الكلمة، وتناقلتها أقلام بعض الباحثين كما ستبين لكن الذين استعملوا مصطلح الاستغراب انقسموا من حيث المعنى المراد به إلى فريقين، فريق أراد به علما حيث دعا أصحابه إلى تأسيس "علم الاستغراب" في مقابل علم الاستشراق، وفريق قصد با لإستغراب طلب الغرب والميل إليه والتعلق بثقافته.[3]

وعلى هذا يمكن القول أن كلمة " الإستغراب" مأخوذة من كلمة غرب وكلمة غرب تعني أصلا مغرب الشمس، وبناءا على هذا يكون ا لإستغراب هو علم الغرب ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة "المستغرب" وهو الذي تبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب و أدابها وحضارتها.[4]

المبحث الثاني: التعريف بالغرب

---

[1]-أنور محمود زناتي، الألوكة الثقافية، مصطلح الاستغراب، 3 ديسمبر 2012 16:00 سا

[2]- حسن حنيفي، مقدمة في علم الاستغراب، ، د.ن الفنية للتوزيع القاهرة، 1991/515، ط2 1411 ه/ 1991م، ص29.

[3]- عبد الله الشارف، "الاستغراب لغة واصطلاحا"، سا. 00: 09 www.chrefab.com/?P=67

[4]- أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص35.

وفي الخطاب المعاصر، يبدوا مصطلح الغرب مثار توهج وحساسية في آن معا، حيث يتم تداوله بكثافة ملحوظة، في زوايا نظرا مختلفة ومواقع متباينة ساعد عليها نصوص لانهائية قدمت حوله، فتعاطته بتلوينات مختلفة، وبدوافع معرفية وايديولوجية.
ومع ذلك ورغمه فربما كان التعرف على المحطات بعينها، يمكن التوقف على المحطات بعينها، يمكن التوقف عندها في مسيرته، أدعى إلى مقاربته[1].

1 -الميلاد:

"ونبادئ بأوربا، باعتبارها تمثل نواة الغرب ومبتدأه، فيما لم تكن قد صيغت بعد كمفهوم حتى القرن العاشر قبل الميلاد، بل مجرد موضع جغرافي، مثل نقطة في الأفق تغيب إليها الشمس، كي تختفي وتتوارى عن الأنظار حتى تحدث عنها هزيود Hesiode بهذه التسمية.
ويصف أبوقراط Hipakrates هذه القارة وسكانها، كأرض تتميز بمناخ أكثر قسوة وأقل تشجيع على الزراعة، وكبشر اكثر توحشا وميلا إلى العمل، فيما ذكرها هيرودوت Herodottes في القرن الخامس قبل الميلاد. باعتبارها منطقة شمالية لا يمكن تميزها تماما عن سكيتيا Saytie، السهل الروسي وأشار إليها أرسطو Arestote نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، بحيث يتمتع سكانها بكثير من الجرأة، بمستوى أدنى من الذكاء الخزفة، مما يجعلهم عاجزين عن الحفاظ على حريتهم، أو تنظيم حكومة أو غزو بلدان مجاورة.
يشير تاريخ أوربا على آية حال إلى مسار ممتد في تبادل سكانها القتل والتدمير طيلة أكثر في ألف سنة، فيما بين القرن الأول قبل الميلاد، حين استتب السلام الروماني، حتى منتصف القرن العشرين، وإن جاز الحديث عن واقعتين ساهمتا في ميلاد هذه القارة إخفاق الجيوش الإسلامية في الاستيلاء على مدينة القسطنطينية في شرق أوربا سنة 718 قبل أن يغزوها السلطان محمد الثاني بعدها بقرون، وتاليا سنة 766 مع موقعه جوابتيه في غربها، حين تمكن "الفرنجة" الفرنسيين، بقيادة شارل مارتل ch.Martell من ضد الزحف الإسلامي، وقتل قائده عبد الرحمان الغافقي، وهي المعركة التي خلدت مارتل كأوّل قومي فرنسي، ومجدها المؤرخ الانجليزي إدوارد جيبون E.Gippon حين

[1]- محمد حافظ دياب، ذاكرة الإسلام والغرب، د. ، دار نشر: القاهرة، ط، ص 23

اعتبرها إحدى معارك التاريخ الحاسمة وحدها دور جيمون كتوقيت لبداية وعي أوربا بذاتها.[1]

2 -النهضة:

"وبحلول عصر النهضة في أوربا، خلال الفترة م ا بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، تمكنت القارة من تلمس حسها التاريخي، مع بدأ انهيار الاقطاع، وتصاعد التيارات العقلانية، واستلهام مفكيرها وفنانيها وعلمائها ثراث العالم القديم، والنهل منه، الاغريقي والروماني تحديدا.

فإذا كان ما يسمى بالقرون الوسطى الأوربية الفترة مابين سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس وحتى بداية عصر النهضة) تتسم بهيمنة الكنيسة على جوانب الحياة، والقبول بتصور الحياة الدنيا والحياة الآخرة مستمدة من النصوص الدينية المسيحية، يقوم على كراهية الجسد ومعدات المال فإن الرجوع إلى تاريخ الأنتيكا Antike اليونانية الرومانية/ فتح الباب لبلورة ثقافة كلاسيكية، تتبنى على بعث الاهتمام بالدراسات الإنسانية. وإحياء الفلسفة واستقلالها عن اللاهوت، يماعن عصر النهضة استطاع أن يخلص أوربا من حروب الأديان، ومن الحساسيات المذهبية المتعصبة التي ميزت عصرها الوسيط، ساعد عليها اكتمال اللهجات التي تحولت فيما بعد إلى لغات قومية، وكانت شفافية محضة حتى ذلك الحين، ثم اشتهرت من خلال الأعمال الأدبية، ودونت مع ظهور الطباعة وتطورت في الوقت نفسه الفنون التشكيلية والعمارة والتصوير والنحت وفنون المسرح، ودخلت العلوم وفي مقدمتها علم البصريات، وعلم التشريح والميكانيكا والهيدروليكا وعلم القذائف وفن رسم الخرائط وعلم المناخ وارتفع شأن العلم واستقلاله عن أشكال ونظم المعرفة الأخرى وبالذات ما اتصل بالرياضيات والهندسة والفلك مما كان له أكبر الأثر في تطور القارة اتجاه الحداثة ودخول كلمة أوربا بالاستخدام المنظم، كبديل لما كان يعرف سابقا بالعالم المسيحي وهكذا فإن تعارض الشرق ممثلا في الإسلام والغرب في أوربا لم يعد يقوم على تباين ديني، بل سينبني خاصة في المستقبل على تباين سياسي سيجري البحث في التاريخ مما يؤكده ويسوغه.

[1]- المرجع السابق، ص23

وساهمت البلدان الأوربية كل حسب ظروفها، في بلورة أبعاد الانتقال التاريخي إلى الرأسمالية، ودفع حركة نموها: ايطاليا بحركة النهضة والنزعة الإنسانية وألمانيا بالإصلاح الديني، والبرتغال واسبانيا بالكشوف الجغرافية وبدايات الاستيطان في الأمريكتين وهولندا بالتوسع التجاري منذ القرن السادس عشر حتى بداية الثورة الصناعية عام 1750 وفرنسا بالثورة الفرنسية والتنوير في القرن الثاني عشر وانجلترا بالثورة الصناعية ونهضة العلم الطبيعي والفلسفة التجريبية حتى قيام الحرب العالمية الأولى إلى أن تولت الولايات المتحدة الأمريكية قيادة المركز الرأسمالي بعد الحرب العلمية الثانية .[1]

3 -التفوق:

"يهل القرن السادس عشر، ليطرح أوربا برواسم عديدة، ازدهار الرأسمالية التجارية، اكتشاف كبرى تفتح وتلاحق ابتكارات حرفية وصناعية وملاحية وعسكرية واقتصادية ومالية مولد النزعة الفردية الإنسانيات والعودة إلى الأصول استياء إزالة البابونة بسبب ممارستها المخزية في بيع صكوك الغفران، حروب أهلية هناك وهنا خلال السبعينات والثمانينيات تسبب في دمار هائل بكل أنحاء التجارة، مجتمعات متباينة الأحجام (دول، مدن، دوقيات، جمهوريات، إمبراطوريات...) فيما كانت هناك عام 1500 أكثر من 500 دولة، لا يزيد حجم كثير منها عن مدينة، ما أجج المنافسة بينها، وحروب دينية شئنها المناهضون لحركة الإصلاح الديني وحرضت الكاثوليك ضد البروتستانت.

وبهذه الإمكانيات أصبحت القارة على المدى قوة تنتزع إلى امتلاك الأفق كله وانفتاح شهيتها على الآخر "البدائي" خاصة مع تشكل تصوراتها الميتافيزيقية القائمة على خلفية ونتائج فكرية تصلها بالإغريق والرومان، انطلاقا من حصن البحث عن ماض عريق وأصول ذهبية، ولاهورت مسيحي قادم من الشرق جرت أوربية، وسردية اتخذت اسما مشتركا للسيطرة عبر إخضاع مجتمعات وشعوب بصفوف من الاستعمار والانتداب[2]

4 -قلق الهوية:

[1]- المرجع السابق ص 25

[2]- المرجع نفسه ص 27.

ومع أوربا، وفي أهابها، ثمة وقائع بعينها ساعدت على تبلور مفهوم الغرب أثر تصاعد القوة العثمانية نهاية القرن الخامس عشر، حين راحت القارة تفرض هذه القوة، مبينة شطر الغرب، الذي انطلقت نحوه في اندفاعه عالية اضطر معها العالم الإسلامي أن يخلي لها مواقعه القريبة في الأندلس، وتجاوزتها إلى فتح أمريكا، ليتم تدشين مفهوم الغرب بجناحيه الأوربي والأمريكي الجمالي، واكتسابه لدلالته في تحقيق ما استقر فبلا في وجدان الأوربيين من أن الفردوس الأرضي الوارد ذكره في (سفر التكوين) يقع في الغرب، أزره توفيرها فوائض رأسمالية ضخمة، تمكن بواسطتها في صراع حداثته، وصوغ شروط خطابه حول الآخر، وتبلوره مع مشروع النهضة الأوربي حول تقنين وضع المواطن إزاء الدولة، وتنظيم الفئات والطبقات والأعراق، وإنضاج آليات النظام الليبرالي، ونشر ثقافة الحداثة والعقلانية. وتوسع المفهوم الجغرافي السياسي للغرب عندما انضمت إليه الولايات المتحدة الأمريكية فرضت حضورها ونفوذها في أوربا ذاتها أثناء الحربين العالميتين وانتقلت إليها زعامة الغرب عقب الحرب العالمية الثانية، باعتبارها امتلاكها لقوة كلية القدرة والجبروت[1].

"وكان الفاصل العنيف وقتها بين أوربا الشرقية وأوربا الغربية والدمار الفاحش الذي لحق بالقارة في جراء هذه الحرب وعوضه مشروع مارشال الأمريكي، وفقدانها لممتلكتها الاستعمارية الشاسعة خارجها، أثره في جعل القارة تلتصق أكثر بالولايات المتحدة وحلف الأطلسي، وتأكيدها الانتماء لما يطلق عليه "العالم الحر" في مواجهة الكتلة الشرقية وضمنها أوربا الشرقية وإن كمنت خشيتها منذ ذلك الوقت من تهميش دورها في التأثير على مجريات الأحداث الدولية ونسبة الولايات المتحدة وحدها، لتحاول مؤخرا، مع الإنشاء الاتحاد الأوربي أن تستعيد هويتها الأوربية الخاصة بالرغم صعوبات مج أوربا الشرقية أو العالم الثالث الجديد القابع تحتها كما يطلق عليها في أوربا الغربية ناهينا عن تواتر مشكلات مازالت تؤرقها (مشكلة ايرلندا الشمالية في المملكة المتحدة، مشكلة إقليم

[1]- المرجع السابق ص 28

الباسك في اسبانيا، مشكلة انقسام جزيرة قبرص بين اليونان وتركيا، الصراع بين جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي السابق بعد انهياره)[1].

المبحث الثالث: نشأة الاستغراب وجذوره وامتداداته

إن لعلم الاستغراب أصول وجذور أساسية له، ينطلق منها ونعني "بتأسيس الأصول" لعلم الاستغراب تنزيل القواعد الكلية الإسلامية على موضوع هذا العلم وكما نعرف أن العلم في الإسلام كمنهج ينطلق من قاعدة "التميز الإسلامي" التي هي دليل الإيمان بأنّ الله هو الحق وأن الإسلام حق وأن محمدا- صلى الله عليه وسلم- حق وأن هذه الأمة هي خير امّة أخرجت للناس طالما حققت شرط الله منها كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه- كما أن العلم من حيث كونه عملية إنسانية تبدأ بالتأمل والنظر وتنتهي بالاستنتاج والحكم محكوم بغايات وضوابط شرعها الإسلام لا يجوز الخروج عنها، وكتبناها هناك في ثلاثة عشر عنصرا [راجع فلسفة العلم في الإسلام ج 1،ج2،ج3][2]. بغير هذا التأسيس لا يكون "علم الاستغراب" إسلاميا، ولا يؤمن أن تنحرف رؤيته ومساره وغاياته، وحينها ينقلب صورة أخرى من صور الجاهلية التي تنحط في الأرض على غير هدى وتتبع الهوى (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[3]

أمّا من قد يظن أن "تأسيس الأصول" إنما هي عملية حجر على الفكر أو التصنيف على الإبداع أو نحو ذلك من شعارات مكروه مملولة، فهذا لا يعنينا في هذا المقال إذ ليس هو بالمخاطب فيه، وإنما غايتنا أن نحقق "التأصيل الإسلامي" لعلم الاستغراب.

---

[1]- المرجع السابق ص 29

[2]- محمد إلهامي، تأسيس أصول علم الاستغراب، "ن بوست" دت، سا 07:30 https://www.nonnpost.org/content/6572

[3]- سورة القصص، آية 50

إنّ التأهيل الإسلامي لعلم ا لإستغراب يحتاج إلى هضم أمور ثلاثة، الأول الإسلام كدين ومنهج حياة، والثاني: الغرب كواقع وحقيقة بشرية تحتاج إلى استكن، والثالث: الفوارق المؤثرة والمفرقة بين الإسلام والغرب[1]

كما يمكن فيما يلي إدراج جذور ونشأة أخرى لعلم ا لإستغراب وكما نعلم أن علم الإستغراب ليس حديثا لأنّ علاقتنا بالغرب أيضا ليست فقط وليدة العصر الحديث بل تمتد جذور "علم الاستغراب" اليونان جزء من الغرب، جغرافيا، وتاريخيا، وحضاريا، وإلى اليونان والرومان تمتد مصادر الوعي الأوروبي ولهذا الأنا الحضاري الجديد المتمثل للتراث في مصر، وكنعان، وأشور وبابل وفارس والهند والصين وهي الحضارات التي ورثها الإسلام وتمثلها الأنا الحضاري الإسلامي الجديد.[2]

تمتد جذور علم "الاستغراب" إ دن في نموذجه القديم في علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة اليونانية عندما كانت الحضارة الإسلامية ذات دارسا استطاعت أن تجول الحضارة اليونانية إلى موضوع دراسة فظهر الجدل بين الأنا والآخر جدلا صحيحا، الأنا ذات دارس والآخر موضوع مدروس وقد تم ذلك على عدة مراحل:

أ - النقل الحرفي وإعطاء الأولوية للفظ على المعنى حرصا على اللغة المنقول منها وهي اليونانية مع العناية بنشأة المصطلح الفلسفي.

ب -النقل المهنوي وإعطاء الأولوية للمعنى على اللفظ حرصا على اللغة المنقول إليها وهي العربية مع بداية التأليف الفلسفي غير المباشر.

جـ - التلخيص وهو دراسة الموضوع ذاته مع التركيز على اللب دون الحاجة والبرهان، الحد الأدنى من القول فيه بلا زيادة أو نقصان، يتجاوز النص والقول إلى موضوع.

د -التأليف في الوافد بالعرض والإكمال، وكان نص الآخر قد تم احتواء لفظه ومعناه وموضوعه، وأصبح الموضوع الأنا المستقل.[3]

---

[1]- الموقع السابق.

[2]- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص56.

[3]- المرجع نفسه، ص 56

المبحث الرابع: العائد المعرفي للدراسات المتأملة في الغرب في الدول الإسلامية

1 ـدراسة الغرب في الأدب الجغرافي العربي والإسلامي:

لقد شجّع الإسلام العباد على السير في الأرض واكتشاف طبائع العمارة الكونية وخارطة العمران البشري... وجعل لذلك في المحفزات وحتى يذكي فيهم روح السير والحركة في الأرض والتعرف والتعارف على شعوبها جعل الحج إلى البيت الحرام ركنا من أركان الإسلام، يزيد فيه المسلم إضافة إلى حصيلته في التقوى حصيلة أخرى تعلق بمعرفة طبائع الشعوب وسيكولوجيتها وقد ذكر القرآن رحلة ذي القرنين بتوصيفاتها المهمة (الأماكن/ طبائع الشعوب/ عاداتهم/ لباسهم/ لفاتهم...).

حيث كان طلائع الرحالة العرب تجوس خلال الأرض شرقا وغربا وهي تردد قول الحق تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير }[1]. كشفا لمجاهيل وغوامض وتركيبة الأرض. كان العالم الغربي المسيحي لا يزال يردد مقولة القديس أمبروز Ambrose في القرن الثالث للميلاد "إنّ البحث في طبيعة الأرض ومركزها بالنسبة للكون لا يفيدنا في الحياة الأخرى[2].

لقد استطاع العرب والمسلمون أن يحصوا قوة الغرب (البيزنطي والإفرنجي) طيلة الفترات التي تمتعوا بها بالقوة وحتى وهم في أشد لحظات ضعفهم سجل لنا التاريخ ظهور موسوعات وكتب لم تغفل وضع تلك الدول من حيث القوة والضعف والرصد العام وهو ما يوحي أن مسألة متابعة الغرب ودراسته ورصد منحياته البيانية في المجالات المتنوعة لم تكن ناقلة في تاريخ الإسلام وهذا ما يخطئ الاعتقاد السائد لدى بعض النقاد أن الأدب الجغرافي الي انطلقت منه الأبحاث لدراسة الغرب والكشف عنه في الدول الإسلامية الأولى كان أدبا يحمل من الشرق والغرائب.وسنتعرف في النقاط التالية على تلك المجالات التي تناولت دراسة العرب وفحصه في مختلف أطوار نشأة الأمة والدول الإسلامية المتعاقبة على قيادتها في كل لحظات القوة والضعف، فقد أطلع على الغرب

1- سورة العنكبوت الآية 20

2-عادل بن بوزيد عيساوي، سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، دار النشر دمشق سورية، سان 2016، ط1 ص33

والتعريف عليه منذ القرون الأولى وبدأت معارف به تنموا وتزداد من خلال أدب الرحلة الذي كان المصدر الأساسي للاطلاع على الآخر وتحديث المعلومات عنه وزادت معرفتهم أكثر حين زاد اهتمامهم بفنون الكارتوغرافيا cartography (فن رسم الخرائط) والكوزمغرافي casnagraphy (علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام) والأقيانوغرافيا oceanography (دراسات في جغرافية البحار والمحيطات).[1]

لقد كان تطلعهم إلى معرفة العالم الغربي لا يضارعه إلا ظمأهم المعرفي الاطلاع على مجاهيل الأرض الأخرى، لنشر الدعوة أو زيادة بسط نفوذ الدولة فالمعلومة قوة، فمن الطبيعي والحالة هذه أن يزدهر هذا الفن العلمي على يد المسلمين في تلك المرحلة، وهو ذلك تبع لازدهار قوة الدولة والأمة... وكان الافتراض الطبيعي كذلك على غرار كثرة الرحلة ونفوذ الدولة إلى أقصى الشرق أن يتبعه بخطوات أسبق تمثلت في مسح جغرافي أو قياغرافي أو كوسمنغرافي تلتها حركة الجيوش وطلائع الفتح الإسلامي.[2].

يقول الباحث شمس الدين الكيلاني: لكن العامل الحاسم في ازدهار الرحلات وبعث النشاط فيها إلى أوربا، وغيرها من البلدان هو تحول المسلمين إلى دولة كبرى فرضت عليهم ضرورة التعرف على الذات والآخر المحيط بهم، وعلى العالم سنلاحظ أن التأليف في دراسة الغرب وتأمله في الدول الإسلامية الأولى، كانت تحكمه مستجدات الواقع وحلقات الصدام والصراع العنيف بين العالم الإسلامي والغربي، ولهذا نسجل ما يلي:

أولا: أنّ الكتابة عن الآخر (البيزنطي والإفرنجي) قد تأثر بواقع العالم الإسلامي مع الغرب المسيحي في مرحلة الحروب الصليبية، وهذا التأثر سواء من حيث زيادة مادة التأليف عن الغرب أو نوعية المعلومات وقيمتها الإستراتيجية في تلك المرحلة.

ثانيا: أن الدراسات العربية والإسلامية عن الغرب بعد الحروب الصليبية، وفي فترة المماليك قد أدرجت ضمن إطار الأعمال الموسوعية الكبرى استهدفت بها أكبر قدر مكن في شرائح المجتمع بعدما كان البحث في موضوع العرب وشؤونه مقتصرا على سادة القوم ورجال الدولة كموسوعة القلقشندي والعمري والنويري، جمع فيها أصحابها

---

[1]- المرجع السابق، ص34

[2]- المرجع نفسه، ص34

المعارف العربية الإسلامية، وضمنت مكتسبات الرحلات في التعرف على الآخر بما فيها أوربا.

ثالثا: أن الكتابة عن الآخر كل الآخر بما فيه الغربي البيزنطي والإفرنجي، قد كان يحكمه منطق المبدئية العالية في الحضارة الإسلامية الذي يجعل في التعرف على الآخر لونا من ألوان العبادة. فقد كتب في عصر الحضارة الإسلامية تصانيف كثيرة عن العالم غير الإسلامي بما فيه أوربا.[1]

2 -**التأليف الإسلامي الأنتوجرافي عن الغرب المسيحي:**

تعتبر كتب المسالك والممالك أهم الكتب التي اهتمت بالأمم الغربية المسيحية حيث كانت تحتوي معلومات أنتروجرافية ضخمة وعلى قدر كبير في الأهمية والخطورة عن العالم المسيحي الغربي.... وقد استقى هؤلاء الرحالة معلوماتهم في المعاينة المباشرة في هذه البلدان التي زاروها بشخوصهم ويدخل في هذا المجال كل كتب المسالك والممالك والرحلات على اختلاف في بعض حيثياتها فمنها ما يمكن أن يدخل في الجانب الأثنوغرافي مباشرة أي يغلب عليه التركيز على خصائص واطباع الشعوب ومن ضمنها الأوربية ومنها ما يغلب عليه الطابع الكوزمغرافي الذي يركز أكثر على الجانب الجيولوجي وغن كان كل الكتب الرحالة والجغرافية كوزمجين بالطبع فمن الطبيعي أن يهتموا بوصف جغرافية المكان وطبيعتها، كما نجد الكثير من هذه الكتب والتأليف عن الأمم العربية المتنوعة يحتوي مادة أنثولوجية ويظهر ذلك بجلاء حين عملت هذه الكتب على دراسة وتحليل ومقارنة ما جمعوه من معلومات أثنوغرافية عن الشعوب التي زاروها.[2]

ونسجل هنا أن الكتب التي كتبت حول تلك الأم كانت أهمها من منطلق المعاينة والمعايشة المباشرة لتلك المجتمعات والدول فابن بطوطة مثلا في رحلته الأثنوغرافي المتنوعة "استطاع أن يمتزج مع سكان البلاد التي وصلها عن طريق المصاهرات وعن طريق الوظائف السامية التي تقلدها والاتصالات التي كان يجريها مع مختلف الأوساط الأمر

---

[1]- المرجع السابق، ص35
[2]- المرجع السابق، ص39

الذي كان يرضى فضوله وتطلعاته المتنوعة و المتجددة في ذات الوقت وقد وصل في رحلته إلى أوربا الشرقية وتحديدا إلى بلغاريا محاولا الدخول منها إلى ما يسمى بحر الظلمات ويمكن أن نرصد في هذا السياق كتاب رحلة ابن فضلان الذي يعتبر بحق أقدم الكتابات العربية عن أقصى الشمال الأوربي والذي يدل على مدى اهتمام الذي كان يحمله ابن فضلان الي جمع بين السفارة الرسمية والعلم في ضرورة معرفة العالم الأوربي وقد بدأت رحلته سنة 961ه، فجمع من المعلومات الثقافية والاجتماعية والدينية عن تلك البلاد ما لم يسبق إليه حتى قال عنه المستشرق الألماني "فراهن" . "إذا كان الغرب قد أغفل روسيا فإن العرب تحدثوا عنها، فألقى العرب أنوارا كثيرة على تاريخ الغرب القديم وأدلوا بمعلومات وخاصة عن البلغار وروسيا في العهد البعيد.[1]

لقد كان اهتمام كبير من العالم الإسلامي بالعالم الغربي من كل نواحي الحياة وتفاصيلها وقد كان للأدب الجغرافي في تلك المرحلة الفضل الكبير في تعريف العالم الغربي للمسلمين، وصدق من قال "إذا كان الرحالة الجغرافيين بالقوة، فإن الكثير من الجغرافيين كانوا رحالة بالفعل فقد حفظوا لنا العديد في مصنفاتهم من الرحلات كإبن خردادبة، وابن اسنة، وابن الفقيه، والمروزي، المتأثرين بالمنهج اليوناني، لاسيما بمنهج بطليموس، أعقبهم في القرن الرابع عشر، جغرافيون رحالة انطلقوا من منهجية عربية إسلامية أصيلة، تنطلق من دار الإسلام، مركز العالم، لتنتهي إليه، اعتمدوا في تصانيفهم على تجاربهم المعاشة كرحلة جوابي الأفاق، الاصطحري، ابن حوقل، والمقدسي، والمسعودي قدم كل منهم على حاشية معرفته لدار الإسلام صورة عن أوربا في عصره.[2]

3 -الشامل الأثنولوجي الاسلامي في العالم الغربي:

إذا كانت الاثنولوجيا Ethmology التي هي فرع من فروع الانثربولوجيا تعني فيما تعنيه علم الثقافات المقارن... تهتم بخصائص وانجازات الشعوب وأحوالهم الحضارية المتنوعة، فإن ما قام به أسلافنا من العلماء في هذا المجال في دراستهم للشعوب الأخرى والحضارات المتعاقبة ومن ضنها دراساتهم لثقافات ومعتقدات وسلوكيات الإنسان في

[1]- المرجع السابق، ص40
[2]- المرجع نفسه، ص41

الشطر الأوربي يعتبر اجتهادا أنثروبولوجيا أنثولوجيا خالصا... فالمادة الجغرافية التي نستلها من كتابات "ابن بطوطة وأسامة بن منقذ ابن جبير... وغيرهم عن طبائع هذه الشعوب التي حلوا وارتحلوا إليها تؤكد ذلك.بما معناه أنّ علماء المسلمين الرحالة الذين اهتموا بدراسة الشعوب كانوا أنثروبولوجين بالقوة والفعل بأ تمّ ما للكلمة في معنى، وقد مهدوا الطريق لتأسيس هذا العلم ولكن أنثربولوجيتهم لم تكن لأهداف استعمارية وإنّما لأغراض معرفية استخلافية، وقد تطور هذا العلم فيما بعد على يد الغرب ليوظفه في إطار فلسفته في استعمار الشعوب انطلاقا من نظامه المعرفي الذي يرتكز هو الآخر على فلسفة الصراع والهيمنة ولذا عمدوا إلى إخضاع المجتمعات التي دخلت تحت نطاق دراستهم، "صحيح أن ظهور هذا العلم من حيث ا لإصطلاح الفني كان سبقا أوربيا صرفا في بريطانيا سنة 1593م وكان المقصود به دراسة الإنسان من جوانبه الطبيعية والسيكولوجية والاجتماعية، إلا أن مفهومه الحقيقي كان إسلاميا، ويتضح ذلك من خلال أعمال الانثربولوجين الإسلاميين الأوائل. لما درسوا المجتمعات والأمم وعادات الشعوب وأصولها".[1]

"وسنورد فيما يلي شيئا في التأليف والاهتمام العربي الإسلامي بأنثروبولوجية الشعوب الأوربية:

نجد الكثير من الشخصيات ألفت حول الأمم الغربية وركزت على وصف عاداتها وسيكولوجيتها وفلسفتها في الحياة وخطورة مخططاتهم، من هؤلاء ابن جبير (ت: 614ه) وأسامة بن منقد (ت: 1188ه). أما الأمير أسامة ا بن منقذ رسول صلاح الدين وصديقه، فقد كتب عن أخلاقيات المجتمعات الصليبية في كتابه المشهور "الاعتبار" ويصف جانب الانحراف الشاذ عن الفطرة فيهم بقوله "وليس عندهم شرح في النخوة والغيرة يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى..."[2]

[1]- المرجع السابق، ص43
[2]- المرجع نفسه، ص44

"لم يكن من مقاصد التأليف عن الغرب تتبع السلبيات، فما وجدوه وصفوه فكما وصف لنا أسامة بن منفذ حالهم من قبل فقد وصف غيره الكثير من المظاهر الايجابية في الحياة اليومية للكثير من المدن، يقول صاحب كتاب الروض المعطار "وفي الإفرنج جمال وأكثرهم بيض شقر وقد يوجد فيهم سمر وسود الشعور، ولهم عقول صحيحة، وفيهم كيد ودهاء وكبر وبأس شديد وقسوة ، لا رأفة عندهم.... وهم أسخياء بطعامهم، ويأكلون في اليوم مرات ويغتسلون ويتطيبون ويغسلون شعورهم بالصابون، فلهم حمامات يص نعونها لاستخراج فضول الأبدان بحجارة محماة يضعون عليها الكراسي ويصبّون فوق تلك الحجارة الماء، فيرتفع لذلك بخار يسيل عرق الأبدان".

نسجل في هذا السياق الكثير من الملاحظات النقدية لما كتبه المؤرخون والرحالة والأدباء عن الظواهر الاجتماعية في البلاد الغربية في زمانهم، إذ يعيبون عليهم تركيزهم على الجانب الاجتماعي والأخلاقي وعادة ما يوردون توضيحات ابن منقد السابقة وبعض ملاحظات ابن فضلان في أخلاق نساء الروم... وإظهارهم نوع برناردلوس يبرق بجوانب عام من زاوية نظره فحواه أن القراءة والمتابعة الإسلامية الفاترة والضعيفة لقوة وطبيعة أوربا بعد الحروب الصليبية سببها ا لإنبهار، "بفكرة تفوقهم على الغرب معتبرين أنّه ليس عند أوربا من جديد تقدمه لهم ويستهل قيامهم بأي جهد للاستفادة مما قد تملكه في الجوانب الثقافية أو العلمية، وظلت تلك الفكرة، حسب قراءة لويس العامة، غالبة عند العرب والمسلمين بالرغم تقدم أوربا عليهم فيها بعدو تحقيقها لكثير من الانجازات العلمية والفكرية، ليس في عصر النهضة الأوربية فحسب، بل وقبله وبعده كذلك".[1]

"وفي الأخير تشير إلى بعض تلك المؤلفات التي أعطت اهتماما كبيرا للعرب، وتأملته تأملا يدل على رغبة ملحة في كسب معارف أكثر عن هذا الجزء في العالم، كتابات القزويني (605ه/682): ففي مؤلفه "أثار البلاد وأخبار العباد" يكر عن الا مم الأوربية الكثير من المعلومات خاصة في الإقليم الخامس والسادس إذ كلما ذكر مدينة إلا ويذكر معها أهم أخلاق العباد فيها، وأحصى عددا من المدن الأوربية مثل رومية والقسطنطينية، وأبولده، وايرلندا فمثلا يقول عن إفرنجة بلدة عظيمة ومملكة عريضة في بلاد

[1]- المرجع السابق، ص45.

النصارى... في آخر غربي الاقليم السادس، ذكر المسعودي أن بها نحو مائة وخمسين مدينة، قاعدتها باريس وأهلها نصارى ولهم ملك ذو بأس وعدد كثير وقوة مالك... وعساكره ذو بأس شديد لا يرون الفرار أصلا عن اللقاء، ويرون الموت دون ذلك لاترى أقذر منهم وهم أهل غدر ودناءة أخلاق، فلا يتنظفون و لا يغتسلون في العام إلا مرة أومرتين بالماء البارد و لا يغسلون ثيابهم منذ لبسوها إلى أن تتقطع.[1]

4 -التأليف الكارتوغرافي الإسلامي عن الغرب:

"لم يفعل علماء الإسلام البحث عن الغرب ودراسته مستعينا بفن التصوير الخرائطي أوما يطلق عليه "علم الكارتوغرافيا" لكون هذا النوع من البحث العلمي يسهل الوصول إلى الأهداف بسهولة... وقد استعان الفاتحون في الدول الإسلامية بالخرائط والخبراء للوصول إلى فهم جغرافية الآخر وتوصيفها وصفا دقيقا...

ويعتبر كتاب الإدريسي: "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" أقل هذه المؤلفات التي تؤسس لهذه المنهجية، فقد فرض الاحترام لقرون متتالية في كبرى الجامعات الأوربية ووصفها وصفا دقيقا باعتماده على ما شاهده هو عيانا أو من خلال المقابلات الموثوقة، تعرض الكتاب إلى ذكر أجزاء مهمة من جغرافية الغرب ذكر فيها أوربا الغربية وانجلترا وفرنسا استونيا وفنلندا وصقلية... وتعتبر جهود الإدريسي 1160-1099م التعرف على أوربا ورسم خرائط تفصيلية لها أوّل جهد عربي إسلامي متكامل المعالم (بتمويل غربي مسيحي) استطاع أن يوصف بتلك المواصفات العلمية الدقيقة هذا الجزء من العالم حتى قال عنه صاحب قصة الحضارة:

"وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى لم ترسم قبلها خرائط أتم منها أو أدق أو أوسع وأعظم تفصيلا ".[2]

"هذا الإبداع الادريسي الكارتوغرافي في دراسة العالم هو أحد الدراسات الإبداعية المهمة والمتأملة ليس في الغرب فقط، وإن كان تركيزه واهتمامه بالعالم العربي في كتابه وخرائطه قد فاق المتوقع في زمنه، يقول المستشرق الاسباني بالنثيا "أن الكتاب حافل

[1]- المرجع السابق، ص 49

[2]- المرجع نفسه، ص 50

بالمعلومات الصحيحة في الغالب، ومادته وافرة عن البلاد الأوربية التي تسكنها شعوب نصرانية" لم يكون الإدريسي النموذج الوحيد في تاريخنا فقد نبغ آخرون تركوا بصماتهم في دراسة الآخر جغرافيا، باكتشاف المزيد من أرضية ومضاربه، فمثلا في زمن الدولة العثمانية "يظهر اسم الريس بيري في زمن السلطانين سليم الأول، وسليمان القانوني وكان الريس بيري، قائدا للبحرية العثمانية، وعالما جغرافيا فذا، ولد عام 1465 وتوفي عام 1554م، كان هذا العالم الجغرافي رائدا من رواد رسم الخرائط في الأدب الجغرافي العثماني وله في هذا المضمار خريطتان هامتان، الأولى لإسبانيا وغرب إفريقيا والمحيط الأطلسي والسواحل الشرقية من الأمريكيتين... فهذه قدّمها إلى السلطان سليم الأول في مصر عام 1517م، وموجودة الآن في متحف طوبقبوفي استانبول وعليها توقيع الريس".[1]

لانطيل أكثر ونكتفي بهذا القدر في الإشارات الإستدلال على أن أجدادنا درسوا الغرب في كل المناحي السياسية وا لإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وهم الذين اذن لهم أن يخترقوا وينفذوا من أقطار السماوات والأرض، فطفقوا الى البدئ في أقطار الأرض ونخلوها نخلا من خلال علم الكارتوغرافيا أو التصوير الخرائطي حتى يسهلوا على الدولة منا الأفراد الحركة إلى تلك البقاع لنشر الرسالة والخير فيها والكل يعرف أن البحرية الإسلامية العثمانية، ما كان لها أن تتفوق وتتربع على سيادة البحار والمحيطات في العالم، لولا دراستها وامتلاكها لهذا المخزون الاستراتيجي من المعلومات عن السواحل الأوربية وغيرها، وهذا أحد أسرار سيادة هذه الخلافة على العالم في القرون الماضية.[2]

5 -عينات في خبراء شؤون الغرب في الدول الإسلامية الأولى:

"لم يكن ا لإهتمام العربي والإسلامي بالتأليف عن العالم الغربي مقتصرا على طلائع الرحالة الدائلون في المشرق والمغرب، كما لم يقتصر الأمر على أولائك الذين لهم باع في السفر والسفارة فقط، إذ هناك نوع من التأليف في تاريخنا لم يسلط عليه الضوء بالرغم من أن أغلب من كتب في الرحالة والمؤرخين يحيلون إلى أعمالهم أو خبرتهم وقل ما

---

[1]- المرجع السابق ص 51.
[2]- المرجع نفسه، ص51

يستغني عن إفادتهم ذلك هو مجال "سير الثغور" والثغور كل مكان قريب من أرض العتو وجغرافيته سواء من ناحية البحر أو البر ثم أصبحت تعرف باسم "الثغور الرومية" إشارة إلى كل منطقة قريبة من أرض الروم"[1]

"يعتبر عادة شيوخ الثغور الرومية من أهم المحللين والخبراء ا لإستراتيجيين لشؤون "الأوضاع الرومية" في زمانهم وكانت كتاباتهم عن العرب الرومي تعد بمثابة وثائق ودراسات إستراتيجية لا يمكن التغافل عنها وقد حضي هؤلاء بقدر من التبجيل والاحترام باعتبارهم "من أهل الثغور" حيث قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: (قال الإمامان عبد الله بن المبارك ,احمد ابن حنبل وغيرهما إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغور فإن الحق معهم، لأنّ الله تعالى يقول : " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ " [2]ومنهم أيضا أبو اسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين، يصفهما صاحب "الروض المعطار في خبر الأقطار" بأنهما شيخا الثغور الشامية، إذ لا يقوم خليفة المسلمين بحركة في بلاد الروم إلا باستشارتهما واخذ خبرتهما في أهل الروم وديارهم ومسالكهم وأحوالهم وشؤونهم العسكرية وقد كان مستشارين لهرون الرشيد رحمه الله في شؤون الغرب أنهم من علماء الإسلام الأجلاء المشهورين بالورع الشديد حتى قال مؤلف "مسالك البصار في ممالك الأمصار".[3]

"وسنذكر هذا نموذجا إضافة إلى النماذج السابقة عن تلك الكتابات و أهميته في تزويد الوعي والعقل الإسلامي بالمعطى الجغرافي الغربي ومكوناته السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية وهي إشارات وتنبيهات لها دلالاتها إلى المدى الذي تركه هذا الموضوع في العقل الإسلامي وهو يتشوق إلى معرف الآخر/ الغربي القريب من جغرافيته.

ومن أشهر هؤلاء الذين يصح فيهم مصطلح 'خبير الدراسات الإستراتيجية الغربية ومحلل شؤون الروم" في زمانه المشهور بمسلم بن أبي مسلم قال عنه المسعودي في التنبيه والإشراف "أنّه كان ذا محل في الثغور ومعرفة بأهل الروم وأرضها، وله مصنفات في

[1]- المرجع السابق، ص57

[2]- سورة العنكبوت الآية 69.

[3]- المرجع نفسه، ص 58

أخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم، وبلادهم وطرقها ومسالكها وأوقات الغزو إليها والغارات عليها، ومن جاورهم من الممالك من برجان والإبر والبرغر والصقالة والخزر".[1]

6 -كتابات مقارنة الأديان مدخل التعرف على الآخر في الدول الإسلامية الأولى:

"لقد كان علماء مقارنة الأديان بمثابة خبراء في الأوضاع والشؤون الدينية لأصحاب هذه الملل وبلدانهم، ولم تقتصر معرفتهم على مجرد الردود والمناصرات وإن اعترفنا هنا أن علم الأديان على كثافة مادته، وكونه الأقدر على فهم الآخر من خلال دينه لم يوظف توظيفا معرفيا كما يجب في فهم الغرب، وبقي حبيس دائرة علم مقارنة الأديان ومناظراتهم ولم يستثمر كما ينبغي في دوائر أخرى، وفوتوا بذلك فرصة التأسيس لهذا النوع من الدراسات وإن سجلنا هنا أن هناك استفادة كبيرة لهذا التخصص في مواقع أخرى في فهم الأخر، ولكن من طرف اللأوربين حيث خطو به خطوة أكبر، فكان القناة التي تم عبرها ومن خلالها التعرف على العرب والمسلمين... وشك أن أغلب المستشرقين قد استثمروا في مقارنة الأديان واتخذوها قاعدة لهم الشرق".[2]

"يقول فرانز روزنتال Franz Ressental "إنّ الغرب يعترف اليوم صراحة بأن الدراسة المقارنة للأديان تعدّ واحدة في الانجازات العظيمة للحضارة الاسلامية، أسهمت في التقدم الفكري للإنسانية كلها، وأقرت بذلك دائرة المعارف البريطانية لقد كان مقارنة الأديان في العالم الاسلامي بمثابة ناقل صادق لوضع الدين وموقعه في عقل الآخر المسيحي وواقعه كما كان النافذة والقناة التي نقلت لنا الكثير من المعطيات الدينية عن الأمم الأخرى، وهذا مورد من الموارد المهمة في فهم الظاهرة الغربية من خلال المنظور الديني، وقد أشار البيروني إلى أنّ الوصول إلى الموضوعية العلمية في الكتابة عن الآخر ليست بالأمر الهين، وتعد ضربا من المستحيلات لكنها ممكنة وتناول البيروني أسس المنهج العلمي لدراسة الدين ذاكرا أن هذا العلم يمثل نوعا من أنواع أكبر، مقارنا بين الخبر والكتابة، وعدّ الكتابة العلمية عن الأديان الأخرى جزءا من الخبر عنها، إذ رايه

---

[1]- المرجع السابق، ص 59

[2]- المرجع نفسه، ص 61

في"لولا الخوالد أثار القلم" لما تيسر لنا العلم وإن لم يكن هناك ت أليف مفرد الحرب مباشرة، هل يمكن أن نسأل عن كتب الفقهاء ما يدل على أنهم درسوا الغرب (البزنطي والافرنجي) وخبروا طبيعته في حدود المعطيات والضرورات التي كانت تعينهم انطلاقا من تخصصهم؟ المتفحص في مادة الفقه".[1]

"وأخذنا بعين الاعتبار أن الغالبية العظمى من الرحالة والمؤرخين الذين كتبوا عن الافرنج والروم في مختلف مراحل تاريخنا الاسلامي كانوا فقهاء وقضاة وعلماء، فإننا لانتفاجأ حين نعثر في كتابتهم عن مادة فقهية وافرة ساهمت في فهم طبيعة الجغرافيا الفقهية لتلك المجتمعات، وبغض النظر عن الخلاف الحاصل في التقسيم الفقهي القديم، للعالم فإن المادة التي تناولها الفقهاء فيما يخص أحكام دار الحرب التي يدخل في نطاقها الجغرافي العالم الأوربي في ذلك الوقت كانت على قدر كبير من الفائدة فهي مادة تجمع مع معلوماتها الفقهية التحليلية مادة أخرى لاتقل أهمية عنها تمثلت في تنوع المادة الانثولوجية بل وتعدى الأمر ذلك ليصل إلى امتزاجها بمادة فقهية فلكية عن تلك البقاع تناولها الفقهاء تحت مسميات عدة".[2]

"ولم يقتصر الأمرعلى هذا النوع من التمثيل، وإنما تعداه إلى تمثيلات فقهية لها علاقة مباشرة بحفظ بنية المجتمع الاسلامي من أي إختراق ثقافي آخر ويدل ذلك على أنّ الفقهاء كانوا على وعي بأنماط السلوك الاجتماعي الغربي وخطورته على المجتمع ا لإسلامي، فمثلا يورد ابن الحاج (تـ: 737ه) في لكتابه المدخل في فصل خروج المرأة وتعاطيها البيع والشراء، وضرورة أن يقوم الرجل بذلك مكانها، إلا للضرورة القصوى ويحيل غلى أن فيه تشبه الرجال بالنساء في مجتمعات الافرنج يقول ابن الحاج وقد ورد في الحديث "الغيرة من الإيمان" أو كما قال ومن اتصف بهذه الصفة وقع بينه وبين نساء الافرنج شبه، فإنّ نساء هنّ يبعن ويشربن ويجلسن في الدكاكين والرجال في البيوت، والشرع قد منع من التشبه بهم بأخبار الأمم.

---

[1]- المرجع السابق، ص65

[2]- المرجع نفسه، ص65

لقد استطاعت مؤلفات علماء الإسلام في مقارنة الأديان نقل واستيعاب ودراسة معالم الجغرافية العقدية في العالم الاسلامي والغربي على السواء، من خلال متابعة حقيقة المسيحية ومساراتها في ديار الإسلام وديار الغرب البيزنطي والإفرنجي تتبعا تجاوز حدود النقل إلى تحليل المضامين المعرفية والسياسية والثقافية لهذه العقيدة. ولهذا نفهم أن علماء الأديان في الإسلام لم يكونوا مجرد رواة أو محاورين ومناظرين فقط، بل كانوا خبراء بـأتم معنى الكلمة من معنى في هذا الجانب عن المسيحية وما يرتبط بها في مجتمعاتها".[1]

7 ـتأمل الغرب ودراسته في الادب الفقهي الأول:

"الملاحق في كتب الفقهاء أو ما يسمى بالأدب الفقهي في الدول الإسلامية الأولى يجد فيه مادة دسمة عن الآخر المسيحي سواء تلك الأقليات التي تعيش ضمن نطاق الجغرافيا الإسلامية أو تلك التي تقطن فيما يسميه الفقهاء في اصطلاحاتهم الأولى (دار الحرب، دار الكفر، دار الشرك) في مقابل دار الإسلام ودار العهد أو الصلح والظاهر أنّ التقسيم الفقهي لجغرافية العالم الغرض منه التمييز بين البيئة الإسلامية وبين البيئات الأخرى التي تخرج عن نطاق السيادة "وانطلاقا من ذلك يمكننا القول بأنّ هذا التقسيم للمعمورة ظهور كوسيلة ضرورية لمعالجة العلاقات الدولية القائمة بين الدول الإسلامية والدول المحيطة بها أي أنّه كان بمثابة لازمة فقهية واجه بها الفقهاء ضرورات الواقع..."[2]

انطلاقا في هذا التميز والمحيطات ا لإصطلاحية استطاع الفقهاء أن يدرسوا العالم الغربي المسيحي ويفردوا له أحكاما خاصة، والذي يهمنا في هذه الدراسة ليس جدوى المصطلح اليوم من عدمه، فقد صيغ في مرحلة كانت لغتها تختلف عن هذه المرحلة وإنّما للبحث في حجم ورؤية الفقهاء وتأملهم وحتى كتابتهم عن هذا الجزء عن المعمورة انطلاقا في رؤيتهم لدراسته وفهمه، فهل وجد حقا تأليف فقهي يعني بدراسة الغرب، وهكذا فإنّ الكتابات العربية والإسلامية المتنوعة عن العالم الغربي في الدول الإسلامية الأولى كانت على قدر كبير من الأهمية والخطورة تكتشف عن مدى اهتمامهم ووعيهم المعرفي

[1]- المرجع السبق، ص62
[2]- المرجع السابق، ص64

بالآخر، صحيح أن العرب لم يكتبوا عن الغرب كما يجب بالمنطق الذي نتصوره اليوم، فهو أمر غير ممكن متعذر في ذلك الزمان، ولكن الأكيد أنهم كانوا آية في الإبداع عجزت أوربا عن الإتيان بمثله بعدهم بقرون، ويبقى الرهان اليوم في مدى الأجيال المعاصرة على محاكاتهم والسير في طريقهم وامتلاك الروح ا لإستخلافية والمبدئية العالية، الظمأ المعرفي التعارفي بالآخر على قواعد العدل والإحسان، عدل يستهدف كبح جماع آلة الطغيان في الأرض، وإرجاعها إلى قواعد التعارف على المعروف، وإحسان أساسه الرحمة بالآخر".[1]

المبحث الخامس: وظيفة علم الإستغراب ومهمته:

لقد تمثلت وظيفة علم الإستغراب في العديد من النقاط نذكر أهمها:

- إذن مهمة علم ا لإستغراب هو فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله في ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس. مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلما، مذاهب ونظريات وأراء، مما يخلق فيهم إحساسا بالدونية، وقد ينقلب إلى إحساس وهمي بالعظمة كما هو الحال لدى الجماعات الإسلامية المعاصرة وفي الثورة الإسلامية في إيران، وليس هذا إلا ردا على مركب العظمة الدفين في الثقافة الغربية والذي لا يخلو من عنصرية ثقافية، صريحة أو ضمينة.[2]

- تتمثل مهمته كذلك في القضاء على المركزية الأوربية Erocentricity Eurocentrism بيان كيف أخذ الوعي الأوربي مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة، إذن مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدوده إبان عنفوانه الاستعماري من خلال سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والإستخبارات العامة، مهمته القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها

---

[1]- المرجع السابق، ص66

[2]- مبروك بوطرفة، علم الاستغراب والرد على المركزية الأوربية،أرنتروبوس "الموقع العربي الأول في الأنتتروبولوجيا"، 30 ماي 2013، 15:00

الغرب، ويجعلها مرادفة لثقافته وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة، فالفن فنه، والثقافة ثقافته والعلم والحياة أساليبه ، والعمارة طرازه، والعمران نمطه، والحقيقة رؤيته، مع أن الثقافات بطبيعتها متنوعة، ولا توجد ثقافة أم، وثقافات أبناء وبنات.[1]

- ومن هناك أتت عمليات المثاقفة Acculturatlon التي تحدث عنها علماء الانثروبولوجيا الثقافية والتي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي أو التبادل الثقافي أوالتثقيف وهي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة العربية خارج حدودها وهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري ولا نمط سواه، وعلى كل الشعوب تقليده، والسير على منواله وقد أدى ذلك إلى إلغاء خصوصيات الشعوب وتجاربها المستقلة واحتكا ر الغرب وحده حق إبداع التجارب الجديدة والأنماط الأخرى للتقدم.

- والتراث الغربي وكما هو معروف عادة ليس تراثا إنسانيا عاما يحتوي على نمودج التجربة البشرية و ليس فقط وريث خبراتها الطويلة تراكت فيه المعارف انتقالا من الشرق إلى الغرب بل هو مفكر سيئ محض نشأ في ظروف معينة هو تاريخ الغرب وهو نفسه صدى لهذه الظروف.[2]

- مهمة علم "ا لإستغراب" هي القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة، فمهما حاول رجال السياسة والاقتصاد القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة على هذه الثنائية في ميدان السياسة والاقتصاد دون القضاء عليها مسبقا في الثقافة فإنّ تبعية الأطراف للمركز في السياسة والاقتصاد قائمة وطالما أن الثقافة الغربية هي المركز والثقافات الغربية في الأطراف ستظل هذه العلاقة أحادية الطرف، من المركز إلى الأطراف علاقة المعلم بالتلميذ والسيد بالعبد، فالغرب هو المعلم الأبدي واللاغرب هو التلميذ الأبدي، والعلاقة بينهما أحادية الطرف، أخذ مستمر في الثاني وعطاء مستمر من الأوّل، استهلاك دائم في الثاني وإبداع دائم في

---

[1]- الموقع نفسه،

[2]- نفس الموقع.

الأوّل، ومهما تعلم التلميذ فإنّه يكبر تلميذا ومهما شاخ الأستاذ فإنّه يظل معلما، ولن يلحق التلميذ بالأستاذ لأنّ معدّل الإبداع عند الأستاذ أسرع بكثير من معدل الاستهلاك عند التلميذ، فيجري التلميذ لاهثا وراء المعلم ولن يلحق به وكلما جرى ازدادت المسافة اتساعا حتى تدركه الصدمة الحضارية فيقع، ويدرك قدره، ويرى مصيره، ويقبل وضعه في التاريخ.[1]

-مهمة "علم ا لإستغراب" هو إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوربي والكفة المرجوحة للوعي اللأوربي. فطالما أن الكفتين غير متعادلتين سيظل الوعي الأوربي هو الذي يمد الثقافة الإنسانية بنتاجه الفكري والعلمي وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج وبالتالي يستمر هذا الظلم التاريخي الواقع على الثقافات غير المتميزة في سبيل الثقافة المتميزة.

-وبين الحين والآخر تعطى جوائز نوبل لمفكرين وعلماء وأدباء آسيا ولإفريقيا وأمريكا اللاتينية ذار للرماد في العيون والذي في النهاية لا يغيّر من عدم التوازن بين الكفتين شيئا بالرغم من الطبول والمزامير والأفراح تعويضا عن عقدة النقص لدى الشعوب اللاأوربية وغرورا من الوعي الأوربي أنّه أخيرا وبعد طول جهد وبحث طويل وصل مستهلك من الشعوب الأوربية إلى مستوى الإبداع الأوربي.[2]

-ولا يتضمن هذا العلم الجديد مجرد إعلان للنوايا وتعبير عن أماني لدينا جميعا بل أنه يمكن أن يحتوي على عدة بحوث عديدة ومراجعات للمفاهيم والتصورات من أجل إيجاد رؤى بديلة عن رؤى الوعي الأوربي، فمثلا من ضمن هذه المفاهيم "الكشوف الجغرافية" أو "الاستكشافات الجغرافية" وهو مفهوم يدل على عدة أمور:

أ -النظرة الذاتية الخالصة التي تتم عن عنصرية دقيقة وكأن العالم يوجد عندما يصرفه الوعي الأوربي ولا يوجد عندما يجهله فالمعرفة تساوي الوجود، في حين أي من منظور أمريكا وإفريقيا، البلاد المستكشفة موجود ة سواء عرفها الوعي الأوربي أم لم

[1]- الموقع السابق

[2]-حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص38

يعرف كما أن الأوربيين بالنسبة للهنود الحمر وسكان إفريقيا لم يكونوا موجودين قبل حلولهم سواحل أمريكا وإفريقيا طبقا للمنطق الأوربي الاستكشافات الجغرافية.

ب -إنكار التاريخ الحضاري للشعوب الأوربية في إفريقيا وآسيا وأمريكا وكأنّها كانت حضارات ما قبل التاريخ، يبدأ تاريخها منذ حضور المستعمر فالتاريخ هو تاريخ المعرفة بالموضوع وليس تاريخ الموضوع كما يعرف نفسه وكأنه الوعي التاريخي للعارف هو الوعي التاريخي للمعروف.

جـ - في بداية الاستعمار التقليدي القديم الذي خرج فيه الوعي الأوربي ممتدا خارج حدوده ليحوط بالعالم القديم بحرا طول إفريقيا جنوبا وإلى الهند شرقا وإلى أمريكا غربا لما كانت أوربا في الشمال أي خروج الشمال من نطاقه الجغرافي إلى نطاقه الحضاري جنوبا وشرقا وغربا.[1]

د بداية القضاء على الثقافات المحلية بعد تعلمها و جمع اكبر قدر ممكن من المعلومات حولها ثم زرع الثقافة الأوربية محلها كثقافة بداية ووحيدة ممثلة الثقافة العالمية و هو ما سمي في العلوم الانثروبولوجيا الحضارية التعمية و التغطية المثاقفة أو التثاقف.

والحقيقة أن "علم الاستغراب" يحاول أن ينقل الخطابة، السياسية التي تعود عليها جيلنا إلى مستوى الخطاب العلمي فما حاولناه منذ فجر النهضة العربية الإسلامية الحديثة وما قامت باسمه حركات التحرر الوطني في جيلنا وماروج له قادتنا السياسيون باسم "فلسفة الثورة"، "الميثاق"، "الكتاب الأخضر"، "الوجدانية"، "الزنجية"، "المعذبون في الأرض"، "مقال في الاستعمار"...الخ هو الذي يحاول علم الاستغراب صياغة دقيقة له، مع الاعتراف كلية بأن "علم الاستغراب" ليس فقط علما نظريا بل هو ممارسة عملية لجدل الأنا والآخر، تحرر الأنا علميا ثقافيا حضاريا من هيمنة الآخر ومادام الأمر يتعلق بعملية التحرر فإن الصوت قد يعلو وربما لدرجة الصراخ.[2]

---

[1] - المرجع السابق، ص39

[2]- المرذجع السابق، ص40

المبحث الأول: مفهوم الإستشراق:

أـ التعريف اللغوي:

" كلمة الإستشراق لو أرجعناها إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة " شرق "، يقال: شرقت الشمس، تشرق شروقًا،و شرقًا، إذا طلعت"[1].

ثم أضيفت إلى كلمة، " شرق "، ثلاثة حروف هي: الألف، و السين/ و التاء، لتصبح استشراق، و معناه، طلب الشرق، بمعنى طلب علوم الشرق، و آدابه و لغاته، و أديانه، و كل ما يتعلق به[2].

ب- التعريف الإصطلاحي:

" الإستشراق تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم، وتاريخهم، و أديانهم، و كل ما يتعلق بهم "[3].

" و يرى بعض الباحثين الغربيين أن مصطلح" إستشراق "، ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان و لم يطلق هذا المصطلح في بداية البحث في لغات الشرق و أديانه، و لعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح إستشراق.

فظهرت كلمة مستشرق في إنجلترا سنة 1779م، و في فرنسا سنة سنة 1799م، ثم أدرجت كلمة الإستشراق في قاموس المجمع العلمي الفرنسي سنة 1838م، و لا يعني شيئا هذا التأخير أكثر من إقرار أمر واقع، و إطلاق وصف على دراسات كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة"[4].

" و يطلق لفظ إستشراق على طلب معرفة، و دراسة اللغات، و الأدب الشرقية.

" و يطبق لفظ مستشرق على الدارس الذي يقوم بدراسات حول الشرق.

و هذه الدراسات و إن كانت عن الشرق بصفة عامة، فهي تهتم بالإسلام و المسلمين، واللغة العربية، و بلاد المسلمين بصفة خاصة، من أجل الوصول إلى أهدافهم المشبوهة[5].

---

[1] ابن منظور "لسان العرب" ص:15.
[2] المرجع نفسه، ص: 173.
[3] مازن مطبقاني، "الإستشراق"،د،ط،ص: 3.
[4] محمد علي اسماعيل "الإستشراق بين الحقيقة و التضليل"، د،ط،ص: 20.
[5] المرجع نفسه 20 .

و من التعريف السابق، و التعريفات الأخرى المشابهة له يمكن أن يعرف الإستشراق تعريفا شاملا بأنه كل ما يصدر عن الغربيين، من الأروبيين، و الشرقيين، و كزبيين، وأمريكيين، من دراسات أكاديمية تتناول قضايا الإسلام و المسلمين، في العقيدة و في الشريعة، و في المجتمع، و في السياسة أو الفكر كما احتوى الإستشراق كل ما تثبته وسائل الإعلام الغربية، أو العربية، من إذاعات، أو تلفاز، أو أفلام سينمائية، أو رسوم متحركة، أو قنوات فضائية، أو ما تنشره صحفهم في كتابات تتناول المسلمين، وقضاياهم، كما أن من ندواتهم، و مؤتمراتهم العلنية أو السرية، يمكننا أن نلحق بالإستشراق ما يكتبه النصارى العرب، من أقباط، و مازونيين، و غيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي[1].

" كما عرفه إدوارد سعيد: أن الإستشراق مجال بطموح جغرافي كبير و لما كان المستشرقون قد شغلوا أنفسهم بصورة تقليدية بالأمور الشرقية(فالذين يدعون أنفسهم مستشرقون يطلقون هذا الإسم على المتخصص في الشريعة الإسلامية مثلما يطلقونه على الخبير باللهجات الصينية أو بالأديان الهندية) كان علينا لنستعد أن نتقبل حجم الإستشراق الهائل و بناءه الجزافي إلى جانب إمكان تقسيمه إلى أقسام فرعية تكاد لا تنتهي، و أن تعتبر أن ذلك من السمات الرئيسية لإستشراق و الدليل عليه هو الخلط الذي يسبب البلبلة بين الغموض الإمبريالي و التفاصيل الدقيقة[2].

المبحث الثاني: مدى الفرق بين علم الإستغراب و علم الإستشراق:

إذن الإستغراب هو الوجه الأخر و المقابل بل و النقيض من الإستشراق فإذا كان الإستشراق هو رؤية الأنا " الشرق " من خلال الأخر " الغرب " فإن الإستغراب هو رؤية الأخر" الغرب " من خلال الأنا" الشرق " و من هنا يتم توضيحنا على وجود عدة إختلافات بينهما و منها:

---

[1] مازن مطبقاني، الإستشراق، ص: 5.

[2] إدوارد سعيد، الإستشراق "المفاهيم الغربية للشرق"، ، دار نشر القاهرة، ط$_1$س 2006، ص: 111.

الفرق بين " الإستشراق " القديم و " الإستغراب " الحالي هو خلاف في اللحظة التاريخية للحضارة الأوربية التي نشأ فيها الإستشراق سابقا و اللحظة التاريخية التالية التي ينشأ فيها الإستغراب الآن على النحو الآتي:

أ- ظهر الإستشراق قديما إبان المد الإستعماري الأوربي، و الشعوب الأوربية منتصرة بعد مرحلة الهجوم منذ سقوط غرناطة " و الإستكشافات " الجغرافية، في حين يظهر " الإستغراب " الآن في عصر الرذة و بعد حركات التحرر العربية، و الشعوب المهزومة في مرحلة الدفاع. لذلك يظهر " الإستغراب " كدفاع عن النفس، و خير وسيلة لدفاع الهجوم، و التحرر من عقدة الخوف اتجاه الأخر، و قلب الموازين رأيا على عقب و قلب المائدة في وجه الخصوم [1].

ب- ظهر " الإستشراق " قديما محملا بالإديولوجية مناهج البحث العلمي أو المذاهب السياسية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر خاصة من وضعية، و تاريخية، علمية، و عنصرية، و قومية.

ج- يظهر الإستغراب اليوم في إديويوجية مناهج علمية مخالفة مثل مناهج اللغة، و تحليل التجارب المعاشة، و إيديولوجيات التحرر الوطني.

د- " الإستشراق " الآن قد تغير شكله، ورثته العلوم الإنسانية خاصة الأنتروبولوجيا الخاصة، و علم إجتماع الثقافة في حين أن " الإستغراب "مازال بادئا، و لم يطور أي شكل له بعد فإذا كانت بدايات "الإستشراق " في القرن السابع عشر، و بدايات الإستغراب في أواخر القرن العشرين فإن " الإستشراق " يكون سابقا على " الإستغراب " بأربعة قرون، و هي عمر النهضة الأوربية الحديثة.

هـ- لم يكن الإستشراق القديم محايدا بل غلبت عليه مناهج تعتبر بنية الوعي الأوربي التي تكونت حضارته الحديثة مثل المناهج التاريخية و التحليلية،و الإسقاطية، و الأثر و التأثر. في حين أن وعي الباحث الان في علم الإستغراب أقرب إلى العثور المحايد نظرا لأنه لا ينبغي السيطرة أو الهيمنة بل ينبغي فقط التحرر من أسار الأخر حتى يوضع الأنا و الأخر

---

[1] د. حسن حنفي، مقدمة في علم الإستغراب، ص:29.

على نفس المستوى من الندية و التكافؤ [1]. فإذا كان الإستشراق هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحث ينتمون إلى حضارة أخرى و لهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها فإن الإستغراب هو العلم المقابل بل و المضاد له.

كذلك إذا كان الإستشراق قد وقع في التحيز المقصود إلى درجة سوء النية الإرادية و الأهداف غير المعلنة فإن الإستغراب يعبر عن قدرة الأنا باعتبارها شعورا محايدا على رؤية الأخر، و دراسته و تحويله إلى موضوع.

و هو الذي طالما كان ذاتا يحمل كل أخر إلى موضوع. و لكن الفرق هذه المرة هو أن " الإستغراب " يقوم على أنا محايد لا يبغى السيطرة، و أن بغى التحرر. و لا يريد تشويه ثقافات الأخر، و إن أراد معرفة تكوينها و بنيتها، إن الأنا الإستغراب أكثر نزاهة و موضوعية و حيادا من أنا الإستشراق[2].

كذلك سنوضح فروق أخرى بينهما فيما يلي:

كان الغرب يدرس الشرق من موضوع القوة و التفوق،و قد سهل ذلك عملية الحصول على المادة البحثية و المخطوطات و غير ذلك من القدرة المعلوماتية الممهدة للبحث ....هذا في الإستشراق، أما الإستغراب فهو يواجه نقص معلوماتيا، إذ لا يسمح الغرب لأنه في موضوع القوة، إلا بالمعلومات التي يريد هو أن نعلمها عنه.... بل أكثر من ذلك، ففي كثير من الأحيان، نستمد معلوماتنا عن ذاتنا من الغرب ! و تلك مسألة خطيرة.

كان الإستشراق موظفا في خدمة الأغراض السياسية و الإستعمارية للغرب، و لا يزال.

أما عندنا بالنسبة للإستغراب فالحال مختلف، إذ لا ينظر أصحاب القرار في العالم عربي الإسلام إلى المادة البحثية بنفس الجدية[3].

- إذن كذلك بالنسبة للسياق، فالسياق الذي جرى فيه الإستشراق لم يكن هو ذاته السياق الذي جرى فيه الإستغراب و لا يعقل أن نطالب القاتل و الضحية بنفس الشيء، و من جهة أخرى علنا أن ظاهرة عدم وجود" دراسات شرقية " عن الغرب تعادل دراسات الغرب

---

[1] المرجع السابق، ص: 30

[2] المرجع السابق، ص: 31

[3] د. يوسف زيدان، الموقف من الأخر الإستغراب جدوره و مشكلاته، المؤتمر، 05 حزيران 2014، سا 21:00.
w.w.w.almutamar.com/index.php?id=

عن الشرق لا يمكن أن تبحث في إطار " اللامبالات "الشرقيين بل في نطاق العلاقة المريضة تاريخيا بين الشرق و الغرب[1].

يمكننا أن ندرج فرق آخر بينهما على أن ثنائية " الإستشراق- الإستغراب " ترتد في نهاية المطاف و حتى الآن على الأقل في الوضعية الفكرية الشرقية (العربية) و الأوربية الأمريكية القائمة- إلى حد واحد من طرفيها، الذي هو الإستشراق [2] ، إن ذلك يتم باعتبار أن هذا الأخير بنسج من ذلك صورة تنطوي على رسالتين إثنين، واحدة موجهة إلى المصور و أخرى تفضي إلى يد المصور رصيدا ثمينا لضبط توجهات تابعة و أفاق تحركاته على كل الأصعدة المحتملة و بالرغم من ذلك، أي بالرغم من نزوع الإستشراق إلى إستيعاب الإستغرابب مثابة تدخلا في أنتاجه هو و محاولة لأعادة انتاجه على نحو يجعل منه أحد جيوبه بالإعتبارين البنيوي الوظيفي، فإن " الإستغراب " يظل يمثل ميلا ذهنيا (إيديويوجيا) يشير إلى الداخل (العربي- المغربي هنا)، الذي قدم مادة صنع الإستشراق الخام[3].

المبحث الثالث: أهمية دراسة الغرب:

تتمثل قيمة و أهمية الدراسة الغرب فيما يلي: و لما كانت الحضارة الغربية بشقيها الأوربي و الأمريكي هي السائدة و المتفوقة اليوم فمن الواجب على المسلمين أن يعرفوها معرفة وثيقة و علمية، فكما أن الغرب حينما بدأ نهضته العلمية و الثقافية و الفكرية توجه إلى دراسة العالم الإسلامي و أفاد من معطيات الحضارة الإسلامية إبتداءا من التفكير العلمي و المنهج العلمي (و تكفي نظريات ابن خلدون و المسعودي و البيروني و ابن النفيس) إلى مختلف معطيات الحضارة الإسلامية فإن من الواجب على المسلمين أن ينطلقوا لدراسة الغرب من جميع جوانبه[4].

---

[1]. أحمد الشيخ، من نقد الإستشراق إلى نقد الإستغراب، ، يناير 1999، د.ن المركز العربي للدراسات الغربية، ط$_1$، ص:09.

[2]. طيب تيزيني، من الإستشراق الغربي إلى الإستغراب المغربي، ، 1000هـ/1996م، دار النشر " دمشق "، ط$_1$، ص: 310.

[3] المرجع نفسه، ص:310.

[4]. عمر بوجمال بن جاسم، الجمعية الدولية للمترجمين و اللغويين الغرب، الإستغراب(مقابلة الإستشراق) دعوة لدراسة الغرب، بتاريخ 2016/02/19، سا 03:12.

w.w.w.wata.cc/farums/php.?93332.

و لعل سائلا لماذا ندرس الغرب؟ و كيف لنا أن ندرس هذا العالم الذي سبقنا بمراحل عديدة أو بعدة قرون؟ الأمر ليس صعبا أو مستحيلا فإننا إذا رجعنا إلى بداية الدعوة الإسلامية وجدنا أن المسلمين الأوائل، حينما خرجوا لنشر الدعوة الإسلامية في العالم كانوا متسلحين بسلاح العلم و تعرفوا على عقائد الأمم الأخرى و عاداتهم و تقاليدهم وأحوالها السياسية و الإقتصادية و الجغرافية. و لعلنا نتسائل من أين تحصلوا على هذه المعرفة، و لكننا لا نتعجب من ذلك فقد كان رجال قريش تجارا و كانت لهم رحلة الشتاء و الصيف. و لم يكونوا يحملون معهم التجارة و يذهبون للبيع و الشراء فحسب، بل كانوا على إطلاع بأنظمة الدول الأخر ى و أوضاعها الإجتماعية و السياسية و الإقتصادية، أما الناحية العقدية فقد عرفوا منها شيئا من اتصالهم بهذه الشعوب و جاء القرآن ليوضح لهم حقيقة اعتقادات اليهود و النصارى و غيرهم، و لذلك فإن المسلمين الأوائل لم يجدوا صعوبة في التعرف على الشعوب الأخرى و التفاعل معها و أخذ ما يفيدهم من وسائل المدنية و نفخوا فيها من روحهم مثل صناعة الورق (الكاغط) التي طوروها العرب حتى أصبحت صناعات إسلامية[1].

المبحث الرابع: نتائج علم الإستغراب.

فإذا ما تم تأسيس علم "الاستغراب" و تناوله فريق من الباحثين على مدة أجيال و تحول إلى تيار عام في البلاد، يساهم في خلق الثقافة الوطنية تحدث النتائج الآتية:

أ- السيطرة على الوعي الأوروبي أي احتواؤه بداية و نهاية نشأة و تكوينا، و بالتالي يقتل إرهابه لأنه ليس بالوعي الذي لا يقهر، فيتحول الدارس إلى مدروس، و الذات إلى موضوع و لا نصبح ضائعين فيه يمكن للإنسان أن يراه مرة واحدة، و أن ينظر إليه في أعلى بدلا من أن يقع أشفى منه. يتحول تلميذ اليوم إلى أستاذ الغد و أستاذ الأمس إلى تلميذ اليوم. و من يرى لمن ستكون الريادة في المستقبل[2].

ب- دراسة الوعي الأوروبي على أنه تاريخ و ليس خارج التاريخ، صحيح أنه تاريخ تحقق على مراحل لا يمكن القفز عليها أو تتجاوز مراحلها المتوسطة لمنه مع ذلك تجربة

---

[1] المرجعالسابق ص311.

[2]حسن حنفي، مقدمة في علم الإستغراب، ص50.

بشرية و مساري حضاري مثل غريه من التجارب. لأنه ليس التجربة الوحيدة أو المسار الحضاري الواحد. هو إحدى مراحل تاريخ الوعي الإنساني الطويل ابتداءا من مصر والصين و حضارات الشرق القديم. إن الحضارة التي أبدعت فلسفة التاريخ، و أسست المنهج التاريخ و سادتها النزعة التاريخية، وزهرت بها على غيرها في الحضارات ذات النزعة اللاتاريخية، و قدمت الماركسية و الانتروبولوجية الحضارية الأولى أن تطبق إبداعها على. و يثبت علم الاستغراب أن الوعي الأوروبي الذي طالما تم إتمام الوعي الأوروبي له، بأنه تاريخاني قادر على دراسة هذا الوعي الأوروبي ذاته في التاريخ، وبعيدة إلى التاريخ بعد أن خرج منه ....الاتقلال عنه و تمثيله لكل التاريخ.
فالشعوب التاريخية شعوب الشرق قد تكون أكثر قدرة على تمثل الوعي التاريخي نظرا لعمقها في التاريخ، من الشعوب الحديث شعوب الغرب نظرا لحداثتها في التاريخ فلماذا تستطيع خمسة قرون و هو عمر الوعي الأوروبي في العصور الحديثة منذ الإصلاح الديني فعصر النهضة حتى الأخد إمام ثلاث آلاف سنة أو يزيد عمر الوعي الشرق في مصر و الصين.[1]

ج- رد العرب إلى حدوده الطبيعية و إنهاء الغزو الثقافي، و إيقاف هذا المد الذي لا حدود له، و ارجاع الفلسفة الأوروبية إلى بيئتها المحلية التي منها نشأت حتى تصغر خصوصيتها التي أمكن تعميمها من خلال الاستعمار و السيطرة أجهزة الإعلام في لحظة ضعف الأنا و تقليده للآخر و إقتصار تحرره على الأرض دون الثقافة إرجاع الثقافة والحضارة إلى الجغرافيا و التاريخ إذا أن المسافة بين البيئة الجغرافية و التاريخية و بين الثقافة و الحضارة الأوروبية متباينة للغاية، فالأولى محددة و الثانية لا محددة و إذا كان العام قد انتقل من انخفاض في عصر الزيادة الأوروبية بالأمس فإن العام يمكن أن يعود إلى الخاص في عصر الانحسار الأوروبي اليوم."[2]

د- القضاء على أسطورة الثقافة العالمية و اكتشاف خصوصيات الشعوب، و أن لكل شعب نمط حضاري الخاص و نوعية المتميزة و علوم الطبيعة و تقنية الخاصة كما هو الحال

---

[1] المرجع سابق، ص50.
[2] المرجع نفسه، ص51.

في الهند و الصين و إفريقيا وأمديها اللاتينية، و تطبيق مناهج علم اجتماع المعرفة و الانتربولوجيا الحضارية على الوعي الاوروبي ذاته الذي أخرجها و يطبقها على كل الثقافات الإتفاقية الحلق العبقري الأصيل الذي على غير منوال و بالتالي تنتهي علاقة المراكز بالأطراف، الحضارة الرئيسية و الحضارات االفرعية، الحضارة بألف و لام التعريف و الحضارات النكرة، و تعتقد الحضارات المركزية، و تتباين المراكز و تصبح الحضارات كلها على مستوى واحد فيقع التبادل و التفاعل الحضاري، دون أن تقضي الحضارة الكبيرة على الحضارات الصغيرة باسم "للتثاقف" أو "التحاضر"[1]

هـ- افساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب غير الأوروبية و تحريرها من هذا الغطاء الذهني و هذه البنية العقلية حتى تفكر الشعوب بعقلياتها الخاصة و أطرها المحلية، فتعدد الأنماط و تنوع النماذج فليس هناك نموذج واحد لكل شعوب " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" و تصير العلاقات بين الحضارات علاقات متبادلة و ليست علاقات ذات اتجاه واحد قال الله تعالى :" **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** " فلا إبداع ذاتي دون تحرر من هيمنة الآخر و لا إبداع أصيل دون العودة إلى الذات الخاصة بعد أن تقضي على اغترابها في الآخر و تتجاوز هذه الأصالة مستوى الفنون الشعبية و المظاهر الخارجية إلى مستوى القوالب النهضة و التصورات العالم.

و- القضاء على عقدة النقص لدى الشعوب غير الأوروبية بالنسبة للغرب، وقيامها بإبداعها الخلاف بدلا من أن مكون مستهلكة للثقافة و العلم و الفن بل و تصير قادرة على التفوق على غيرها و قد يتحول مركب النقص إلى مركب عظمة يساعد على الحلق والإبداع، و تبدو هاتان العقدتان عند تيارين رئيسيين في حياتنا الثقافية فالعلمانية تشعر بهذا المركب للنقص أمام الغرب شبابا و شيوخا، و كأن الإنسان لا يستطيع أن يكون إسلاميا إلا إذا نعجل من القدماء، و تسمك لكل معطيات التراث دون نقد أو تحميص أوزيادة

1 المرجع السابق، ص52.
2 سورة الحجرات الاية 13

اختيار بين البدائل و كأن الإنسان في الحالمين لا يستطيع أن يكون إلا تبعا مرة للمحدثين و مرة للقدماء[1]

ز- إعادة كتابة التاريخ لما يحقق أكبر قدر ممكن من المساواة في حق الشعوب بدلا من النهب الأوروبي لثقافات العالم، و اكتشاف دور الحضارات التي ساهمت في تكوين حضارة الغرب و التي حاك الغرب حولها مؤامرة الصمت و دون أن يكون الغرب هذه المرة و بموضوعية تاريخية مركز الثقل في العالم،فيه تصب كل الحضارات فلكل حضارة دور ما في زيادة أحدى فترات التاريخ، و لكل منها دورها في التراكم المعرفي الذي اقترن أخيرا في اللحظة المراهنة في الحضارة الغربية، فهناك اليوم حضارة، في الحضارة الأوروبية تأخذ كل شيء و حضارات أخرى طواها النسيان، الأولى تأخذ أكثر مما تستحق و الثانية تنال أقل مما تستحق، الأولى بدايات البشرية و الثانية تطوها اكتمالها وسبعة آلاف عام تنال في أي مؤلف في تاريخ الحضارات أقل من ربع الكتاب، و خمس مائة عام تنال الثلاثة أرباع[2].

ح- بداية فلسفة جديدة للتاريخ، تبدأ في ريح الشرق، و اكتشاف الدوائر الحضارية و قانون تطورها أشمل و أعلم من البيئة الأوروبية، و إعادة النظر في وضع الشعوب الشرقية كبدايات للتاريخ كما هو الحال عند هردر فكانط و هيجل، و كما بدأت الحضارات من الشرق ثم انتقلت إلى الغرب فقد تعود إلى الشرق من جديد، قد ينتج عن هذا العلم الجديد تحول جدري في تاريخ العالم، فيكون على مشارف الانتقال من مرحلة قديمة إلى مرحلة جديدة، من عصر زيادة لحضارة إلى عصر زيادة لحضارة أخرى فإذا كانت الاستكشافات الجغرافية هي البداية فإن رد الغرب إلى حدوده الطبيعية في النهاية و ما أخذت في الفلسفة من قبل الانتقال من الأنا الفكري لأنا الموجودة من ديكارت إلى هورسل قد تكون دلالته أعمق ليه فقط من حيث تطور الفلسفة الأوروبية، و اكتمال المثالية الترنسندنتالية، و تكون الوعي الأوربي.

---

[1] المرجع نفسه، ص52.

[2] المرجع السابق، ص53.

المبحث الخامس: غايات علم الاستغراب و أهدافه:

من بين الأهداف و الدوافع تأسيس علم الإستغراب إذن تصحيح المفاهيم المستقرة و التي تكشف عن المركزية الأوربية من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم في منظور أكثر موضوعية و حيادا و أكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العالم، هو مفهوم (العالمية) كما هو الحال في " الحرب العالمية الأولى "أو " الحرب العالمية الثانية " و هي حروب أوربية صرفة نشأت بين القوى الأوربية بسبب أطماعها فيماا بينها و أطماعها في غيرها[1].

و روسيا بلد أوربي و إن كانت امتداد جغرافيا في آسيا و تركيا و إن كان بلد أسيويا جغرافيا إلا أنه أوربي تاريخيا. و الحرب العالمية الثانية صراع بين قوى أوربية صرفة من أجل السيطرة على الأرض شرق آسيا و على المحيط الهادي شرق الجزر اليابانية[2].

كما تتمثل غايات علم الإستغراب أيضا في ستة أمور و هي :

أولا: تطوير الإنتاج المعرفي الإسلامي من خلال إعادة توظيف الإنتاج الفكري الغربي المناسب.

ثانيا: المساهمة في تصحيح مسار الفكر الغربي من خلال التلاقح الفكري.

ثالثا: إعادة تقييم عملية استيراد الإنتاج المعرفي الغربي في المعرفة الإسلامية.

رابعا: تمكين المسلم من الإطلاع على الحضارة العربية و إسقاط الحواجز المعرفية التي تحول بين الحضارتين.

خامسا: نقل التعاطي مع الغرب من حالة المثاقفة العفوية و العشوائية إلى حالة المثاقفة المنظمة.

سادسا: نقل الوعي الإسلامي من حالة الإمتداد إلى حالة الإستقلال[3].

---

[1] د. حسن حنفي، مقدمة في علم الإستغراب، ص: 77.

[2] المرجع نفسه، ص: 77.

[3] مجلة علمية محكمة تصدر سنويا عن مؤسسة وعي للدراسات و الأبحاث،سا 19:00.

Wazefondation.net/pages/ علم الإستغراب

كما يهدف " علم الإستغراب " كذلك إلى إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء، أوربا مركز الثقل فيه. تاريخ العالم هو تاريخ الغرب، و تاريخ الفلسفة الغربية في الغرب يصب كل شيء ما قبله و هو الشرق بدايات التاريخ البشري كما يقول صردر وكانط، و ما بعده عصر الفضاء الذي يمتلكه الغرب، عصور الغرب هو عصور الكل، العصر الوسيط هو كذلك لكل الشعوب، و العصر الحديث هو كذلك لكل العالم مع أن وسيطنا موحد نيتهم و حديثنا هو وسيطهم، و سقوط الغرب حاليا هو نهضتها و نهضتها هو أفول الغرب. إن مهمة مفكرينا و باحثينا هي إعادة صياغة فلسفات التاريخ الأوربي في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر خاصة و التي صاغت التاريخ كله بحيث يصب في النهاية في الحضارة العربية، ووضع الحضارة الغربية في مكانها الطبيعي كمرحلة من مراحل تطور الإنسانية و التي يكون مرحلة واحدة، مجرد قوس صغير[1].

يهدف علم الإستغراب إذن إلى إقالة الثورات الحديثة من عثراتها،و استكمال عصر التحرر من الإستعمار، و الانتقال من التحرر العسكري إلى التحرر الإقتصادي السياسي و الثقافي، و قبل كل شيء التحرر الحضاري. فطالما أن الغرب تابع في قلب كل منا كمصدر للمعرفة و كإطار مرجعي يحال إليه كل شيء للفهم و التقييم فسنظل قاصرين في حاجة إلى أوصياء[2].

---

[1] د. حنفي، مقدمة في علم الإستغراب، ص: 78.

[2] د. حسن حنفي، الإستغراب في مواجهة التغريب، "الإستغراب "، 20 سبتمبر 2015.
Istighrab.iicss.iq/?id=188 sid=20

المبحث الأول: تقديم رؤية الغير للأنا الأوربي

1 فائض الإنتاج والقوة العسكرية:

قد يبدوا لبعض المتفائلين أنّ الوعي الأوربي بالرغم من مظاهر العدم التي بدأت تتبدى فيه خاصة بعد الحرب الأوربية إذن استطاع أن ينهض بنفسه ويبدأ نهضته ثانية، ويتولد من جديد.

إذن قد شملت رؤية الدكتور حسن حنفي وتذللت بعض جوانب للأنا الأوربي من خلال كتابة مقدمته في علم الاستغراب والذي يعتبر مشروعه الضخم حول "علم الاستغراب".

فبالنسبة للفائض الإنتاجي والقوة العسكرية بيّن ما يلي:

حتى المتفائلين يرون علامات التفاعل في المشروع المعرفي الأوربي بل في مشروعه العملي، في إنتاجه المادي وقوته العسكرية، ينتقلون من الظن إلى اليقين، ومن الشك إلى الحسم، ومن التردد إلى القرار فهناك وفرة في الإنتاج في البلاد الصناعية المتقدمة يجعل المجتمع الأوربي كما كان دائما مجتمع الوفرة. الفائض الزراعي والصناعي مازال يفجر الأسواق، وفائض الإنتاج الياباني ترجوا التخفيف منه عن طريق خفض الإنتاج وإعطاء عطلة مدفوعة الأجر أضعافا مضاعفة للعمال وموظفي الشركات.

أصبح إغراق أسواق العالم كله بفائض القيمة الياباني عن طريق شراء أسهم شركات الغربية ذاتها.[1]

واستطاعت الشركات المتعددة الجنسيات أن تنتج على مستوى العالم طبقا لقرب المواد الأولية وأسواق ا لإستهلاك والعملية الرخيصة أجزاء ا لات ثم تجميعها بمزيد من التخصص والفاعلية، وتجنبا لتأميم صناعات كاملة إذا ما تمت في بلد واحد، مازال المركز ينتج، والأوساط تستهلك وباتساع ثروة بعض الأطراف بسبب عائدات النفط تجارة

[1] حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص725 -

أو المخدرات، ازدادت ا لإستهلاك، وازدادت قدرتها على استيعاب فائض الإنتاج في المركز.[1]

2 سطوة العلم وثورة المعلومات:

مازال الغرب مهد العلم، ومبدع التكنولوجيا، وقد يظل كذلك لأجيال عديدة وكلما أحرز سبقا تجاوز نفسه بنفسه ومازالت أجيال الحاسبات الآلية تتوالى، والتكنولوجيا المصغرة تفتح كل يوم أفاقا جديدة ومازالت الحضارة التي توحدت بالعلم والتكنولوجيا لم تلق السلاح بعد. يأتيها الباحثون من الأطراف للبحث أو الدراسة، ا لإكتشاف أو التمرين يرصد فيها البحث العلمي أضعاف ما يصرف في الأطراف وأصبحت مراكز العلم هي مراكز إصدار القرارات، الفلسفة العلمية، والدين علم، والفن العلمي وتنظيم المجتمع العلمي، والأخلاق العلمية، تحول العلم إلى مطلق جديد بدلا من المسلمات القديمة الذي كان الوعي الأوربي تركها وراءه وهو في بدايته في العصور الحديثة، فإذا كانت حضارة الشرق هو الدين فإن حضارة الغرب هو العلم، وفي كل عصر تنشأ علوم جديدة هي علوم المستقبل كانت الرياضيات كذلك ثم أعقبتها الطبيعيات، والآن هي علوم الهندسة الوراثية القادرة على خلق الحياة والإبقاء عليها والتحكم في مسارها ظل على مستوى النظري ولكنه يقيني على المستوى العملي.[2]

ومع ذ لك بدأت الآثار السلبية لسطوة العلم تبدو داخل الوعي الأوربي في نهايته، خلق علم مصطنع وهمي بديل عن العالم الحقيقي انساق نظرية كلها محتملة لفهم الواقع دون أن تكون بديلا عنه، فقدت العالم الداخلي، عالم الحياة.[3]

3 مجتمع الرفاهية والخدمات:

يظل المجتمع الأوربي هو الذي استطاع أن يوفر أكبر قدر ممكن من الرفاهية والخدمات، وسائل حديثة في المواصلات والاتصالات، تحكم في حرارة الجوّ صيفا وشتاءا، سهولة الحياة، الجمع بين العمل والرفاهية، الإخلاص في العمل وجه الحياة، دقة المواعيد إحساسا

[1]- المرجع السابق، ص 725
[2]- المرجع السابق، ص 726
[3]- المرجع نفسه، ص 726

بالزمان على عكس صورة الشر قي الذي يعد الزمان لديه بالسنوات والدهور وليس بالساعات والدقائق، كل شيء سهل الحصول عليه والتخلص منه بالنسبة للأطراف حيث يصعب الحصول على كل شيء أو التخلص من أي شيء ليصارع الأوربي من أجل حقوقه الطبيعية الأولية في الغذاء والكساء أبدانهم وعلاج مرضاهم وتعليم أولادهم الدولة في خدمة الشعب، والنظام منتخب من النماس، والتخطيط يتم لصالح الأغلبية، يتمتع الأوربي بالحريات العامة التي حصل عليها وبحقوق الإنسان والمواطن الذي من أجلها. ولم يعلن عن ذلك فقط بل مارس فيها الحكام السياسة بالقهر ضد الخصوم السياسيين وفوق رؤوس الناس.[1]

4 -ريح الحرية في أوربا الشرقية:

إنّ هبوب ريح الحرية في أوربا الشرقية في نهاية العقد التاسع وأوائل العقد العاشر في القرن العشرين قد يكون برقة أمل التجديد للوعي الأوربي من أطرافه أي أوربا الشرقية فالوعي لم يفقد حيوته بعد ومازا قادرا على الاندفاع يولد الثورات منذ الثورة الفرنسية حتى الثورة الاشتراكية ونهاية بريح الشرقية والحقيقة أن هبوب ريح الحرية على أوربا الشرقية إنما كان نتيجة طبيعة للتضحية بالحرية في سبيل الاشتراكية، بعد حروب الثانية، والفقر الشديد الذي كانت به الشعوب كان من الطبيعي أن تـتجه أوربا الشرقية التي كانت من الزحف النازي وتحررت بفضل الأحزاب الشيوعية والوطنية بها وظهيرها في الاتحاد السوفياتي نحو التنمية والتخطيط والسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج وإعداد البنية الاقتصادية اللازمة وتحقيق معدلات عالية التنمية.[2]

المبحث الثاني : موقفنا من التراث الغربي:

"في هذا العصر الذي نعيش فيه، ووسط عديد من التيارات والمذاهب المطروحة يكاد الإنسان يفقد صوابه، ما هو مقياس الاختيار؟ وهل الاختيار ممكن أساسا؟ يصيب الإنسان الدوار أمام هذا الخصم الذي يعرض عليه من كل اتجاه، وهو مضطر لاستيعاب الجميع،

---

[1]- المرجع السابق، ص 726
[2]- المرجع السابق، ص728

باسم الإطلاع على ثقافات العصر، وبهدف اتساع الأفق وعملا بتوصيته الإنفتاح على الآخرين، والإستفادة من تجاربهم، تتراكم المعلومات وكلها يلغي بعضه بعضا، وتكون الحصيلة في النهاية طبقة سميكة بل وهشة من الأفكار المتضاربة تموت بعد حين من الزمان لأنّها مجتذة الجذور غير مرتبطة بوجدان المثقفين العاديين، إذ تتساوى لديهم جميع الأمور، يكفي الإنسان فخرا أنّه أصبح مثقفا بمقياس العصر بمعرفته بالمادة المعروضة عليه بالطرق الرسمية في حيرة كلّ ولاشيء.[1]

ومع ذلك فالأمر سهل للغاية، إذ يمكن إحياء هذا الكم السميك من المعلومات بوجهة نظر تحييه وتضمه وتلمه في فكرة واحدة تنادي بشيء وترفض شيء آخر فالفكرة دائما ذات وجهين، يمكن عن طريق أخذ المواقف إحياء المعلومات وربطها بوجدان جمهور القراء، وقد يستطيع المفكر بموقف واضح، وبأقل عدد ممكن في المعلومات، إحداث ثقافة، وإنشاء حضارة كما كان الحال في تراثنا القديم، فبالموقف القرآني، استطاع علماء الكلام، بعد الإطلاع على عدد محدود في الأفكار من الداخل، إنشاء علم الكلام، وبالموقف القرآني الفلسفي استطاع للفلاسفة، بعد الإطلاع على عدد محدود من المذاهب الفكرية من الخارج، إنشاء الفلسفة الإسلامية، وحاليا نصح برجسون طالبا يكتب رسالة للدكتوراه منذ عشر سنوات بعد أن غرق وتاه وسط خصم المادة التي جمعها دون أن يستطيع الخروج منها، نصحه بأن يستمر في ذلك إلى أن بشعر بأن فيشاته هذه كلها قد تغلغلت فيها فكرة واحدة تجمع بينها ثم يسطّرها في جلسة واحدة دون الرجوع إلى ما جمع هذه الفكرة التي تسري في الكم القديم في التي تعبّر عن الموقف أو وجهة نظر التي بدونها يظل الكم متناثرا أو استخدام لغة برجسون هذه الفكرة في الحدس الفلسفي الذي لا يمكن أن يخرج من مجرد كم عقلي مخزون يتجاوز بعضه بجوار البعض في المكان على المكتب، بل الذي يحدث للإنسان في الزمان بعد طول خبرة ومعاناة للموضوع".[2]

"و الأمر سواء بالنسبة لثقافتنا المعاصرة، زاد لكم بدرجة رهيبة ومازالت الفكرة الأساسية التي يمكن أن تتخلله غائبة وهذا ما أعنيه بالموقف في التراث الغربي، منذ أكثر من قرن

[1]- حسن حنفي في الفكر الغربي المعاصر، دار النشر بيروت، ط12، ص10.
[2]- المرجع نفسه، ص10

ونصف من الزمان نترجم ونعرض ونشرح ونفسر التراث الغربي دون أن نأخذ منه موقفا صريحا واضحا. مازال موقفنا حتى الآن موقف الناقل، فعصر الترجمة لدينا لم يتوقف بعد أو على أكثر تقدير، مازال موقفنا موقف العارض للنظريات، وكأن هناك علما للعلم، أو كأن العلم ينقل من بيئة إلى بيئة لها وجود مستقل عن واقعه، وما أسهل على المترجم أو العارض أن يصبح مثقفا أو مفكرا، فمجرد عرض كتاب عن الأدب الإفريقي المعاصر لا يعني أن العارض يهتم بهذا الأدب، بل يعني مجرد نقل معلومات حتى تستفيد البيئة وتستزيد، ومجرد عرض مفهوم النمط في العلوم الاجتماعية لا يعني أن ثقافتنا المعاصرة زادت وعيا.

فالعلم موجود في الكتب والكتب في المكتبات ولكن يحدث العلم بأخذ المواقف بالنسبة للمترجم أو للمعروض، لا ما ببيان نشأة الفكرة أو المذهب في بيئته الخاصة من أجل التعرّف على مسار الفكر وتطور البحوث الاجتماعية، أو من أجل تطبيق مباشر لهذه الفكرة في بحوثنا الخاصة مع أنّ الأفضل أيضا في هذه الحالة خلق نظرية مباشرة لواقعنا المباشر، يتم أخذ الموقف إذن بالوعي بمتطلبات الواقع وبإرجاع الأفكار والمذاهب الغربية إلى واقعها الخاص، أو اعتبارها نماذج سابقة في حضارة أخرى كتجربة إنسانية عامة تعرف و لا تنقل".[1]

"فإن قيل: التراث الغربي كلمة عامة شاملة تشمل العلم والدين والفلسفة ويشمل العلم الطبيعي والرياضي والطبيعي لا يختلف عليه اثنان ومن العلم الإنساني هناك علم للنفس والاقتصاد والاجتماع والتاريخ والسياسة والقانون والجمال وفي كل علم عديد من التيارات والمذاهب فأيها نقصد؟ ومن الدين هناك أنماط عديدة من الفكر الديني فأيّها نعني؟ ومن الفلسفة هناك مذاهب كثيرة متعارضة لا توضع في بوتقة واحدة، ولا يمكن إصدار حكم واحد عليها، أو أخذ موقف موحد منها فأيها نريد؟ التراث الغربي كلمة شاملة لا تعني شيئا محددا، فكيف يكون لنا موقف منه؟

والحقيقة أن الموقف يتم دائما بالنسبة للكل، وهي عملية حضارية تمت من قبل في تراثنا القديم بالنسبة للتراث اليوناني وليست عملا علميا بالمعنى الدقيق، إلا إذا اعتبرنا التقاء

---

[1]- المرجع السابق ، ص10

الحضارات موضوعا علميا يدخل في فلسفة التاريخ أو في فلسفة الحضارة أو في علم الاجتماع الحضاري أو في علم اجتماع المعرفة...الخ، ففي كل لحظة تتقابل فيها حضارتان، حضارة ناشئة كما كان الحال في حضارتنا القديمة وحضارة غازية، كما كان الحال بالنسبة للحضارة اليونانية بعد عصر الترجمة يحدث بسرعة فائقة أن تأخذ الحضارة الناشئة موقفا بالنسبة للحضارة الغارية ويحدث الجدل بين القديم والجديد، وتنشأ ظواهر حضارية عديدة. يمكن تتبعها في تواثنا القديم، أو في كل لحضارات في طور النشوء والالتقاء بحضارات أخرى عديدة".[1]

"قد يختلف الموقف بالنسبة للعلم عنه بالنسبة للفلسفة أو الدين ولكن بالرغم من هذا الاختلاف النوعي في المواقف (مثلا: رفض حضارتنا القديمة الأدب اليوناني وقبولها للفلسفة، ورفضها ميتافيزقيا أرسطو وقبولها طبيعته ورفضها مثل أفلاطون وقبولها جمهورية) فإن هناك موقفا أهم، أخذه الفلاسفة يتضح في فلسفتهم التي انشأوها في مقابل الفلسفة اليونانية، وفي التراث الفلسفي الذي خلّفوه ورائهم.

المبحث الثالث :الأنا والآخر والذاكرة الثقافية:

وسنكون مخطئين إذا نحن اكتفينا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الثقافية الدينية التي كانت تواجه فلاسفة التاريخ والمستشرقين وأنّه الأنا غرب علماني خالص، عقلاني براغماتي لا غير، سنكون مخطئين إذا نحن جردنا الغرب من ذاكرته الثقافية الدينية ذلك لأنّه إذا كانت هذه الذاكرة تفعل بصورة واعية في الكنسيين والمتطرفين العنصرين في كل من أوربا وأمريكا فهي تفعل كذلك بصورة لاواعية في العلمانيين والليبراليين وهي تميط اللثام عن نفسها بين حين وآخر من خلال ردود فعل معينة، غير مراقبة، وفيما يلي أمثلة توضح كيف أن الذاكرة الثقافية الدينية الأوربية مازالت تمارس فعلها في تفكير الصحفيين والمحللين وصناع السياسة من الليبراليين العلمانيين في العرب.[2]

---

[1]- المرجع السابق، ص11

[2]- عمر البوجمال بن حاسم، الجمعية الدولية للمترجمين واللغوين العرب، "الاستغراب مقابلة الاستشراق" دعوة لدراسة الغرب، د ن، 07:30

سنغض الطرف عمّا لا يحصى من الصور والعناوين التي تزخر بها الصحف والمجلات الأوربية والأمريكية، وسنقتصر على الإشارة إلى صورة واحدة هي تلك التي حلت بها مجلة التايم غلاف عددها المؤرخ في 15 حزيران يونيو 1992: صورة مؤذنة مسجد بجانبها بندقية رشاشة في مثل حجمها، وفي أسفل الغلاف، تحت البندقية مباشرة العبارة التالية: "إسلام...هل ينبغي للعالم أن يخاف؟" وقد لا نحتاج إلى بيان مضمون هذه الصورة غير أنّه لابد في الإشارة إلى جزئية صغيرة وهي جعل الإسلام في طرف و"العالم" في طرف آخر، وكان الإسلام خارج عن العالم أو كان العالم هو الغرب بمفرده ومع أن المقالات المنشورة في هذا العدد والمخصصة للحركات الإسلامية الأصولية مكتوبة بخطاب هادئ في الجملة، غير متحامل ولا متشنج، فإن كاتب إحدى المقالات تفلت منه العبارة التالية، إذ يقول في ص 21 من العدد المذكور: "على أنّه إ لا كان المسلمون اليوم يرون أنفسهم قد تعرضوا لتدخل الغرب خلال مرحلة الاستعمار فإن المسيحية هي التي كانت طوال معظم تاريخهم موضوعا لمحاصرتهم فخلال قرن من وفاة نبيهم غزوا اسبانيا ودقوا على أبواب فرنسا، وقد أوقف زحفهم شارل مرتيل والد الإمبراطور الفرنسي شارلمان في معركة تور، وفي سنة 1435 احتل الأتراك العثمانيون القسطنطينية وتقدموا زاحفين على البلقان في اتجاه الباب الخلفي لأوربا، وقد أوقف هذا الزحف في نهاية الأمر حصارهم الفاتيل لفينا عام 1683 ثم يضيف الكاتب قائلا: "وهكذا فعلى الرغم من أن تاريخ المسلمين تاريخ إمبريالي فإنهم يركزون بصورة رئيسية على القرنين الآخرين اللذين تميزا بتفوق القوى الأوربية تكنولوجيا وسلاحا".[1]

هل نحتاج إلى أبرز صدى حضور الذاكرة التاريخية الدينية في هذا النوع من الخطاب الصحفي التحليلي المحايد، لننتقل إلى مثال آخر ويتعلق هذه المرة بتحليل استراتيجي يتناول "السياسة الواقعية في العالم الجديد" نشرته مجلة انترناشنل أفيرز في عددها الصادر بتاريخ 3 تموز/ يوليو 1991 حيث يحاول كاتبه استشراف القوى التي سيواجهها الغرب في القرن الحادي والعشرين بعد انهيار الشيوعية، فيقول: "... والتصادم بين

[1]- المرجع السابق، ص137

الهويات الحضارية أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام وهذا الأمر يتصل جزئيا بالتعارض بين القيم العلمانية والدينية، وجزئيا بالتنافس التاريخي بين المسيحية والإسلام، وجزئيا بالغيرة من القوة الغربية، وجزئيا للناشئ في عصر ما بعد الاستعمار، وجزئيا بالمرارة والمهانة الناشئين عن المقارنة المكدرة بين انجازات الحضارتين الإسلامية والغربية خلال القرنين الماضيين"، ثم يضيف: "... وفي حالة الإسلام يضاعف هذا الخطر الجوار الجغرافي والعداء التاريخي وكذلك الدور السياسي الصريح الذي يلعبه الإسلام في حياة إتباعه، ويزيد في أهميته هذا التنافس مع الغرب أن الإسلام نفسه مازال هوية جماعية قوية وآخذة في الانتشار".ثم يخلص الكاتب إلى القول: "ومن شأن حرب باردة اجتماعية مع الإسلام أن تعزز الهوية الأوربية من جميع نواحيها في هذا الوقت الحاسم في عملية الوحدة الأوربية ويضيف: "لكل هذه الأسباب وغيرها ربما يوجد رأي واسع الانتشار في الغرب، ليس على استعداد فحسب لتأييد حرب باردة اجتماعية على الإسلام، بل وللأخذ بسياسات تشجيع على ذلك".[1]

1/ موقفنا من الآخر:

لقد حدد الدكتور جعفر موقفنا من الآخر أي الأنا الأوربي ذلك في عدة نقاط هي:

1/ الدعوة إلى الحق عملا بقوله تعالى: (**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**)[2].

2/ إعداد القوة الرادعة، فلا بد أن يكون للمسلمين قوة حتى لا يظهر أحد تحدثه نفسه بالغزو، وحتى لا يكون المسلمون فتنة حيث نكون على الحق ونكون الأضعف فينفر الناس من الحق الذي معنا (القوة من أجل السلام).

3/ الجنوح إلى السلم

4/ لا تبادل المنافع.

ويخلص الدكتور جعفر إلى القول بأن الحضارة الغربية هي التي تدفع الآخرين لمعاداتها حيث تعمل في طريق التطور الطبيعي لغيرها، وتعد كل ما عداها خطر عليه، فتتحدث

---

[1]- المرجع السابق، ص137

[2]- سورة النحل الآية 125.

عن العربي والآخر تماما كما كان بعضهم ولا يزال يصف كل من ليس على دينه بالأمين (أو الأمميين) ولا يرى أنّه ملزم في التعامل معهم بخلق أو دين.[1]

المبحث الرابع: رؤية الذات للأنا الأوربي:

1- عقل الغرب:

الهجوم على الغرب هو من بين أشياء هجوم على عقل الغرب، و غالبا ما يصور المستغربون عقل الغرب على أنه ضرب من البلامة الشديدة فإن تحمل عقل الغرب أشبه بأن تكون علامة أبله، مختلا عقليا إنما مع موهبة إجراء العمليات الحسابية، فهو عقل بلا روح، فاعل مثل آلة حاسبة، غير أنه لا يجدي نفعا في القيام بما هو مهم من الناحية الإنسانية، و لا شك أن عقل الغرب قادر على إحراز نشاط إقتصادي عظيم، و على تطوير التكنولوجيا متقدمة و الإرتقاء بها، لكنه عاجز على إلتقاط أشياء الحياة السامية، لأنه مقتصر إلى ما هو روحي و يعوزه فهم المعاناة الإنسانية. و عقل الغرب في أعين المستغربين هو عقل مبثور، يحسن إيجاد السبيل الأفضل لتحقيق هدف معين، لكنه لا ينفع البتة في إيجاد السبيل الحق، فادعاؤه للعقلانيين ليس سوى نصف الحقيقة،و النصف الأقل و إذا ما ما كنا نعني بالعقلانية، أي العقلانية الأدائية، التي تلاؤم بين الوسائل و الغايات، في اختلاف عن العقلانية القيمية التي تتمثل باختيار الغايات الحقة، فإن الغرب لديه وفرة في العقلانية الأولى و ليس لديه اقل القليل من العقلانية الثانية و الإنسان الغربي، من وجهة نظر هذه فضولي أو متطفل مفرط النشاط لا يجد الوسائل الصحيحة للغايات الخطأ[2].

و يرى إشعيا برلين أن فرنسا سيطرت على العالم الغربي، سياسيا و ثقافيا و عسكريا و أن ذلك، قد مثل إذا لا عميقا بالنسبة للألمان المهزومين خاصة البروسيين الشرقيين التقليديين، المتدنيين، و المتأخرين اقتصاديا و مما زاد الطين بلة حماس فريد ريك العظيم لأفكار الفرنسية و ميله إلى استيراد موظفين فرنسيين متغطرسين، فكانت ردة فعل الألمان على ذلك " شبه بفرع مائل على جذع نظرية الشاعر شيللر، حيث جعلوا و رفضوا

---

[1]- عمر البوجمال بن جاسم، الجمعية الدولية للمترجمين واللغوين العرب، "الاستغراب مقابلة الاسشراق دعوة لدراسة الغرب، د ت، 07:30

[2] يان بوروما و أفيشاي مرغليت، تر:ثائر ديب، الإستغراب " موجز تاريخ النزعة المعادية للغرب "، د، ط، ص: 87.

الإقرار بدونيتهم المزعومة" [1]، و عقدوا مقارنة بين حياتهم الروحية الداخلية العميقة،و الشعر المنبثق عن روحهم القومية،و بساطة شخصيتهم و نبلها في جهة و بين تفاهة التعقيد الفرنسي و غلطته الوطنية التي واجهت نابليون، و شكل كمل يقول برلين " النموذج الأصلي الذي سارت على غراره ردة فعل كثير من المجتمعات المتأخرة أو المستغلة، أو التي تعامل بغطرسة و استكبار على الأقل، حيث أثار سخطها ذلك التدني الواضح في مكانتها، فردت على ذلك بالتحول إلى انتصاراتهما و أمجادها الماضية الفعلية أو المتخلية، أو إلى ما يتسم به طبيعها الوطني أو الثقافي، من خصائص وصفات تحسد عليها " و حين لا يقتصر أمر البشر على الإذلال من قبل قوي أجنبية بل يتعداه إلى اضطهادهم من قبل حكومتهم، غالبا ما ينسحبون نحو " حياة الروح الداخلية " النقية و البسيطة، حيث يمكن أن يشعروا بالتحرر من فساد السلطة و التعقيد، كما يغدو كل من الفلسفة و الأدب بديلا سياسيا حين لا يعود ثمة مجال للجدال السياسي. و هذا ما يصح على ألمانيا القرن التاسع عشر، و كذلك على روسيا، حيث طعم الجذع الروسي بنصوص ألمانية بدت مثل أطراف اصطناعية زائفة، و لقد زادت الرقابة الشديدة من أهمية الأفكار و خلفت انطباعا بأن هذه الأفكار، تحظى بأهمية بالغة، حتى و لو كانت من النوع الباطني الذي يقتصر فهمه على الخاصة.

أما ما كان المفكرون الروس يستشعرونه، ظل حكم القياصرة، مع عجز عن ترجمة الأفكار إلى أفعال و امتحانها بذلك على أرض الواقع، فقد دفع كثيرا من هؤلاء المفكرين صوب نزعة صفائية قويمة، فشاعت وجهات نظر متطرفة و متزامن ة بأن المفكرين والكتاب قد تحولوا إلى أنبياء، و قد صدر كثير من وجهات النظر هذه عن الرومانتكية الألمانية، خاصة الرومانتكية الرفيعة الباكرة، بين العام 1797 و العام 1815، أما في روسيا فقد تم بتر وجهات النظر هذه و تحويلها إلى ضرب من الإستغراب[2].

" و يعتبر إشعيا برلين الحركة الرومانتكية جزءا من التنوير المضاد، ففي حين حمل مفكروا التنوير وجهة النظر المتفائلة التي مفادها أن التاريخ الإنساني هو نوع من التقدم

[1] المرجع السابق، ص: 90.
[2] المرجع السابق، ص: 91.

الخطي باتجاه عالم أكثر سعادة و أكثر عقلانية، عمد التصور الرومانتيكي إلى استخدام الأفكار و المفهومات الدينية القديمة مثل البراءة، و السقوط و الفداء، فالرومانتيكي يشعر على الدوام أنه في الحضيض، متطلعا من هناك إلى الأعلى أملا بالخلاص و الفداء، أما السقوط فحسوم بتشظ كلي، و غربة عن الذات الحقيقة و اغتراب عن البشر، فكن الطبيعة (أو الله)[1].

" و السببان الأساسيان لهذا التشظي، بحسب هذا الخط من التفكير، هما تقسيم العمل و الأسواق التنافسية، و مع أنه من المقدر لخطة الخلاص أن تلبي التوق إلى الوحدة و الإنسجام، إلا أن الرومانتيكي ليس متفائلا. فما من ضمانة أنه سيتمكن يوما من التغلب على الإغتراب، و من هنا ذلك التفوق إلى الوحدة و الإنسجام و من أهم الأحداث في التاريخ الروسي كان تحول مملكة كييف إلى المسيحية في عهد فلاديمير أن يتبنى الكاثوليكية الرومانية، و اعتنق المذهب الأرثوذكسي اليوناني من بين المذاهب المسيحية. و هذا ما وضع روسيا بقوة في الطرف الشرقي من العالم المسيحي. و حين انتقل مركز الحياة الروسية من كييف إلى موسكو، و غدت مملكة موسكو في المركز القائد للإمارات الروسية في القرن الرابع عشر، انتقل رأس الكنيسة الأرثوذكسي إلى موسكو أيضا، وغدت موسكو نتيجة إلى ذلك، مركز روسيا الروحي، و ليس موقع السلطة فيهما وحسب. في عام 1439، دعت الكنيسة الكاثولوكية الرومانية، في مجمع فلورانسا إلى توحيد جميع الكنائس، الشرقية في ظل السلطة البابوية. و اعتبرت موسكو ذلك فعلا مخاملا و غادرا، و غدت الكنيسة الروسية كنيسة و طنية إلى حد بعيد، كتب لها أن تحمل رسالة المسيحية الأصلية، و غدت روسيا " روسيا المقدسة " و موسكو " روما الثالثة "، و لقد عمل فتح العثمانيين للقسطنطينيۃ عام 1453 على تعزيز هذه النظرة المسيانية الخلاصية، التي كانت ترى أن روسيا هي الوريث الشرعي للعقيدة المسيحية الحقة[2].

و كانت مملكة موسكو من نواحي عديدة حضارة دينية أكثر منها نظاما سياسيا، و كان ثمة قدر كبير من التماثل في نظرة الروس العامة إلى هذه الحضارة، كما نزعوا إلى اعتبار

---

[1] المرجع السابق، ص: 91.
[2] المرجع السابق، ص: 92.

الغرب كتلة واحدة على نحو يشبه طريقتهم في النظرة إلى أنفسهم، و لذلك كانوا في قدر ذلك التنوع في الفكر الديني القائم في الغرب و على سبيل المثال فإن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية لم تكن تفسح ذلك المتسع الكبير للاهوت، و كان الروس أشد اهتماما بالشعائر والطقوس و الحياة الرهبانية و ترك التقى البسيط من الأثر على مقاربتهم للدين أكثر مما تترك اللاهوت، و جعلها مقاربة مختلفة عن مقاربة الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية مقاربة والكاثوليكية الغربية.

وثمة عنصران على الأقل في الثقافة الدينية الروسية يستبقان الإستغراب و يتقدمان عليه، فالإلحاح على المسائل الفكرية في الكنيسة الكاثوليكية كان بالنسبة للمؤمنين الروس، علامة أكيدة على افتقار هذه الكنيسة إلى الإيمان البسيط النابع من قلب نقي، أما العنصر الأخر، الذي شكل واحدا من جذور الانقسام في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، فكان ذلك التشكك العميق و الإشتباه بأي تحديد، فالجدة بالنسبة لهؤلاء المؤمنين هي على الدوام شيء يأتي من الخارج فكان يحكم عليه بأنه غير أصيل و مثل يشير إلى أن ثمة شيئا تفتقر إليه الأساليب و الطرائق القديمة ذلك الافتقار الجوهري. و هذه الحساسية الدينية تمضي عميقا جدا، فترى إلى الكنيسة لا على أنها مصدر معرفة جديدة، بل بوصفها مستودعا للذاكرة الجمعية، ذاكرة روسيا كمجتمع مقدس، و لأن الذاكرة و الإيمان البسيط، و ليس المنطق و السفسطة المستحدثة التي يمكن لهذا العقل أن ينتجها، مما فضيلت العقل البشري الأساسيتان، كان التصوف، الذي يعبر عن نمط رفيع من الوجود يقوم أعلى بكثير من إعمال العقل المنهجي[1]".

لم تكن الرومانتكية الألمانية، بخلاف أشكال الرومانتيكية الأخرى في أوربا الغربية، مجرد حركة أدبية و فنية، و قد انطوت على مكونات سياسية و اجتماعية شديدة و قوية، في كتابه فلسفة الطبيعة، رسم شيللنج الكون لعضوية حية، تتصرف بطريقة غائبة، و كان معاكسا تماما لفكرة إسحاق نيوتن عن الطبيعة بوصفها آلية، لا توجهها الغايات بل القوى و الأسباب و كان تصور شيللنج العضوي وسيلة لإجهاز على عقل الغرب الحسابي و

[1] المرجع السابق، ص: 93.

تقديم فكرة عن المجتمع بوصفه عضوية حية تدفعها غايات جماعية، و كان ذلك نقيضا للتصور اليبرالي عن المجتمع بوصفه مكونا من أفراد يربط العقد فيما بينهم[1].

" و لقد راقت كثيرا أفكار شيللنج عن الكون للمزاج المولع بالسلافية، فالمجتمع، عند هؤلاء يتطابق مع الكنيسة أو الجماعة الدينية، ليشكلا عضوية إلهية – بشرية، و الكلمة التي غالبا ما كانت تستعمل للتعبير عن ذلك هي Sobarnost حيث الـ Sobar هو المجتمع الكنيسي، أما الفعل Sobirat فيعني " يتحد "، و بذلك كانت الفكرة الكنيسية الأصلية هي اتحاد المؤمنين في جسد المسيح الغامض، و كان كيريفسكي يتكلم على ضرب من " التكامل " و على أي حال، فإن هؤلاء كانوا ينظرون إلى رؤساء وفد ألهمتهم أفكار شيللنج، على أنها يعكس المجتمع الغربي، كما تمثل له إنكلترا، أو هولندا، أوالجمهورية الفرنسية.

و في كتابه مبدأ جديد في الفلسفة أقام كيريفسكي تميزا واضحا بين عقل الغرب و عقل البقية، حيث تقف روسيا، بين هذه البقية، بوصفها العقل غير الغربي النموذج،و بحسب منطق كيريفسكي، فإن الغرب يقوم على أسس فاسدة، فهو يقوم من الناحية الروحية على العقلانية السكولانية(المدرسية) كما تبنتها الكنيسة الكاثولوكية، و يقوم من الناحية السياسية، على الفتوحات الرومانية و النيتونية التي شكلت نظام أوربا السياسي،و يقوم من الناحية الإجتماعية، على الفكرة الرومانية الخاصة بحقوق التملك المطلقة، التي راى فيها كيريفسكي طورا أولا أو شكلا بدئيا من الفردانية،و لقد طابق بين عقل الغرب و التفكير المجرد المتشظي، المنقطع على كلية العالم، أما العقل الروسي العضوي من جهة أخرى، فيهديه الإيمان و يقوي على النقاط كلية الأشياء[2].

و لقد استهدف كيريفسكي كلا من العقلانية و القدرة على التفكير المنطقي الخلط بين هذين الإثنين، إلا أنهما ليس الشيء ذاته في حقيقة الأمر.

و يرى كيريفسكي أن أرسطو هو مسؤول عن وضع عقل الغرب في القالب الحديدي للتفكير المنطقي، لكنه فشل، لحسن الحظ، في أن ينقل هذه الفكرة إلى تلميذه الماحد،

---

[1] المرجع السابق، ص: 93.
[2] المرجع السابق، ص: 94.

الكسندر الأكبر، الذي كان أكبر على وجه الدقة لأنه كان يسعى إلى المجد، و ليس وراء مثال التفكير المنطقي السخيف.

فالتفكير المنطقي، كما يقول كيريفسكي، ليس سوى " المكابدة سعيا وراء الفضل ضمن دائرة ما هو تافه و مبتذل "، و التفكير المنطقي هو فطنة هيابة، و نشدان التفاهة الشديدة، يقوم على حكمة تقليدية مبتذلة،هي نقيض الحكمة الحقيقية و خوف المرء من أن يكون أصيلا لئلا يوصف بالتطرف.

هو أسوأ ما يمكن أن يكون عليه هذا المرء في الغرب الجبان، و التفكير المنطقي هو خلاصة العقل غير البطولي، و لذلك راح يندد به ليس أصحاب النزعة السلافية الروس مثل كيريفسكي و حسب، بل حشد من المفكرين المناهضين الليبرالية، كثير منهم كانوا ألمانا، ممن يحتقرون التاجر و يعبدون البطل كما سبق أن رأينا[1].

- و يقرر أحمد رضا بك لرحلة الغرب المعرفية، عبر مرورهم بالتراث العربي إذ، يصبح الفضاء المتوسطي علامة على طريق هذه الرحلة كالتالي:

" إن التقدم العقلي بالغرب ابتدأ في الجنوب و على الخصوص بإيطاليا من القرن التاسع مستمدا قوته من قرطبة و صقلية التين كانتا من القرن السابع مركزتين للآداب و الفنون والعلوم يضيء نورها جميع ساحل البحر المتوسط من نبلي إلى فينيسزيا وذلك أيام كانت جزيرة لأندلس بأكملها تقريبا تحت سلطان المسلمين كالجزر الكبرى المعروفة بها جورك و مينورك و كورسيكة و مالطة و صقلية و كذلك بعض المواقع الكائنة على شواطئ إيطاليا مثل ترانت وبر الذي يرى التي تمكن العرب بفضل إحتلالهم لها من الوصول إلى روما و إكراه البابا على دفع الجزية و هكذا عاد البحر الأبيض المتوسط الذي كان مقرا لحضارة اليونان تفوقه القديم و سادت فكرته من جديد على بقية الأقوام و ما ذلك إلا أن التأثير المسلمين كان عظيما و على الأخص بصقلية حيث كانت لهم حضارة لا تقل أبهة وبهاء عن حضارة قرطبة و انحصرت فيهم الطبقات العالية من مفكرين و أرباب مصانع و غيرهم[2].

---

[1] المرجع السابق، ص: 94.

[2]. سعيد علواش، إشكالية التيارات و التأثيرات الأدبية في الوطن العربي،المغرب، ط1، ص172.

2- صعود الغرب:

"نشر المفكرون الأوربيون بطرق مختلفة عبر القانون "صعود الغرب"تلك الحقيقة التي لا يرقى إليها شك،و هي أن بعض الأوربيون بدأو في التقدم بسرعة من عام 1500 تصاعدا في العلم و التكنولوجيا و حقول أخرى من السعي الإنساني،و أصبحوا سيردون العالم سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا.رأى كثيرون من أهل العصر الحديث المبكر في نجاح أوربا مجرد دليل على الخطوة الإلهية:فالله يمنح بركاته من علمه و قوته بمن يعتقدون الإيمان الوحيد الصحيح و يمكنهم من نشر المسيحية في العالم كله،و فوق ذلك ألم يقل الكتاب المقدس من قبل أن أبناء يافت مقدر لهم أن يحكموا أبناء حام"أي الأفارقة "و سام "الأسيويين"و فيم بعد،كما سنرى في الفصل الثالث،و خاصة في أواخر القرن التاسع عشر و في القرن العشرين،أصبح كثيرون،بما فيهم عديد من العلماء البارزين المحترمين،يؤمنون بأن هناك فوارق بيولوجية واضحة و عميقة بين الأعراق، فاعتبروا أن العرق "الأبيض"(أو الأرف/ Aryan)أو القوقازي/Caucasian)متفرق بطبيعته،و بالتالي و هذا وحده المؤهل لخلق الحضارة و حكم الأعراق المختلفة الأخرى،و قد ساعدت هذه النظريات في إضفاء الشرعية على استعباد الأفارقة السود و إخضاع الشعوب غير البيضاء في المستعمرات،التي استعبدت و اعتبرت غير بشرية بالكامل أودنيا بالمقارنة ب "القوقازيين"،و بالتالي ليست مؤهلة للحصول على الحقوق و الحريات التي أصبح الأوربيون يعتبرونها مكفوفة لهم بحق الميلاد.و قد استعملت هذه النظريات قسما أيضا التعريف اليهود الأوربيون كجنس أدنى من البشر، و بالتالي يستحقون العزل العرقي و الملاحقة، بل و الإبادة[1].

- بخلاف اللجوء إلى الله أو أساطير التفوق العرقي،التي لا تعتبر اليوم الغالبية فكريا و اجتماعيا و كان لديها دائما معارضوها،أشارت الغالبية العظمى ممن حاولوا أن يفسروا ما أسما كاتب لكتاب نشر في 1971"المعجزة الأوربية"بسمات ثقافية أو أنماط من التنظيم الإجتماعي أو قوى تاريخية معينة اعتبروها محصورة في أوربا قبل 1492 بزمن طويل،و أنها هي التي مكنها من تحقيق نجاح و سلطة دنيوية غير مسبوقة. فمثلا"رأى

[1] زكاري لوكمان، تاريخ الإستشراق و سياسته، دار الشروق، ط1، ص: 117.

بعض الباحثين أن أوروبي أواخر العصور الوسطى المتأخرة، على خلاف شعوب الثقافات الأخرى،قد وهبوا بسخاء خصالا مثل الفضول الفكري و العقلانية و الإنفتاح على التحديد و الإيمان بالتقدم و روح المغامرة و المشروع،و اقترح البعض،انعكاسا لصدى الحتمية الجغرافية التي قال بها أرسطوا و مونتسكيو و آخرون،أن مناخ أوربا المعتدل والبيئة اللطيفة نسبيا سهلة صعودها إلى التفوق العالمي[1] ".

- " كما رأى آخرون أن مجتمعات أوربا في أواخر العصور الوسطى تميزت بسمات فريدة، دور الكنيسة، تفتت و عدم مركزية سلطة الدولة، بنية الأسر الأوربية،نمط شخصية أوربي مميز، و هكذا وضعت أساس قفزة أوربا إلى الحداثة بعد قليل.

-أما الباحثون المتأثرون بالماركسية،فقد مالوا،مع نقدهم الشديد لشرور الحكم الإستعماري، شول بأن النظام الإقطاعي الإجتماعي و الإقتصادي الذي ميز أوربا الغربية قبل الحديثة كان مناسبا بشكل فريد لتوليد القوى و الدنيا سكيان الإجتماعية التي أتت بالرأس مالية، و معها العالم الحديث و بالمقابل أعاقت المجتمعات و الدول الأسيوية أو منعت التطور المحلي للرأس مالية،فكان يجب إذن إدخالها من الخارج بواسطة الفاتحين والتجار المزارعين و الماليين الأوربيين[2].

-غير أن عددا متزايد من الباحثين بدأ في العقود القليلة الماضية في نقد أعمال هؤلاء الذين نشروا صعود أوربا، كليا أو إلى حد كبير،بوجود عنصر ما يفترض أنه داخلي في أوربا و كان يحمل بالفعل قبل 1492.حيث رأوا أن مثل هذا المدخل"مركزي أوربي" بعمق،لأنه بشكل غير مبرر يضع أوربا(أو بشكل أوسع للغرب)في مركز تاريخ العالم و يدعي أن التطورات التاريخية في الغرب كانت القوة المحركة لمعظم التطور الإنساني،إن لم يكن كله،من الإغريق القدامى و حتى اليوم،ينطلق نقاد المركزية الأوربية غالبا من المقدمة المنطقية التي تقول إنه بينما كانت المجتمعات و الثقافات و اقتصاد البلدان المختلفة بلا شك عن بعضها البعض،لم تكن أوربا بأية حال متفردة بما يكفي لتفسير صعودها اللاحق إلى السلطة(العالمية)و بالتالي،بدلا من قبول أن الحضارة الغربية امتلكت نوعا

[1] المرجع السابق، ص: 119.
[2] المرجع نفسه، ص: 120.

خاص من"العبقرية"أو التفوق المتأصل أو محاولة التعرف على سمة في الثقافة أوالمجتمع الأوربي تعد مسؤولية عن انطلاق أوربا إلى موقع قيادة العالم،أصروا على التركيز على اختبار التغيرات في علاقة أوربا البنيوية مع أجزاء أخرى من العالم بعد 1492،خصوصا نتائج"اكتشاف"و غزو الأمريكتين.

- و عادة يرى الباحثون الذين ينتمون لهذه المدرسة، مثلا، أن الدول الأوربية لم تصل إلى الأمريكيتين أولا لأن الأوربيين كانوا متفردين في الإتصاف بروح المغامرة[1]".

"ففي القرن الخامس عشر كان التجار العرب و الهنود و الأفارقة و الصينيون يشاركون أيضا بقدر كبير في التجار البحرية البعيدة و لأن الأوربيين كانت لديهم حاجة ملحة لإيجاد طريق مباشر إلى الشرق يتجنب الوسطاء الذين كانوا أساس مسلمين،و الذين كان على الأوربيين أن يتعاملوا معهم.

و قد تسبب فتح الأمريكيتين السريع و الإستيطان فيهما،و الذي شكله التناقص الكارثي في السكان المحليين بسبب دخول أمراض العالم القديم و تفوق التكنولوجيا الأوربيين العسكرية،في تفوق و تدفق ثروة جديدة ضخمة على أوربا،من المتاجر و المزارع التي تعد تشغيلها إلى حد كبير بالعمل المحلي و الأفريقي غير الحر،و من التجارة المزدهرة عبر الأطلنطي(في السلع و العبيد)التي فتح أبوابها استغلال الأمريكتين[2].

- " لقد حفز تدفق الثروة من إمبراطورية أوربا في العالم الجديد، و معه أرباح تجاروإنتاج آسيا الواقعان تحت السيطرة الأوربية،الإقتصاد الأوربي خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر،و أسرع بتطور الرأسمالية فيها ووضع أسس نظام عالمي اقتصادي والسياسي جديد مركزه في أوربا،و يدمج أنحاء كثيرة من آسيا و أفريقيا و الأمريكتين كمناطق تابعة ".

- لا شك انه يمكن الجمع بين عناصر من الرواية "الداخلوية"عن صعود الغرب إلى التفوق العالمي(و التي تركز على عناصر داخلية في أوربا)و الرواية"الخارجوية"(التي تركز على علاقات أوربا المتغيرة مع بقية العالم)،فمنها لا يستبعدان بعضهما

---

[1] المرجع السابق، ص: 120.
[2] المرجع السابق، ص: 121.

بالضرورة.و لا يجب أن تتجاهل أو نقلل من التقدم الحقيقي العلمي و التقني و الثقافي والفكري البالغ الأهمية الذي حققه الأوربيين عبر القرون و في نفس الوقت لن يفيد بالطبع أن يعالج ظهور الغرب الحديث- أو ميلاد العالم الحديث- أو ميلاد العالم الحديث،أو صعود الرأسمالية أو أي اسم أخر نسمي به تلك الظاهرة كما لو كان من إنتاج عوامل داخلية بالكامل و فريدة بالنسبة لأوربا و غير مرتبطة من حيث الأساس بتغير علاقات أوربا مع بقية أجزاء العالم. لقد ظهرت مفاهيم أوربا و الغرب بمعناها الحديث في ذات الوقت الذي كان يولد فيه نظام عالمي جديد متمحور حول أوربا،و العمليتان ممتزجتان بشكل حميم لا انفصام فيه.و على ذلك لا يمكن تصوير أوربا و بقية العالم أو مصممتين.على العكس،لقد خلقا و نحتا و حددا بعضهما البعض،و تمازجا عبر كثير من التفاعلات المعقدة على مدى القرون الخمسة الأخيرة(وأيضا قبل ذلك بكثير)[1].

-"و بالفعل،بدأ الباحثون يستكشفون كيف ساعدت هذه التفاعلات بالذات في إنتاج فكرة غرب مميز،و القسمة الثنائية للعالم إلى غرب و لا-غرب تمثل أساس هذه الفكرة.و لا نستطيع من خلال كتاباتهم أن نبدأ في رؤية أن كما اعتدنا على أن نفكر فيه باعتباره حديثا و أوربيا أو غربيا من حيث الجوهر،و إنما نشأ و غليا في قلب التفاعلات بين هؤلاء الذين أصبحوا يصنفون،كنتيجة لتلك التفاعلات ذاتها إما كغرسين أولا-غربيي ن- فمثالا وجد الباحثون أن الكثير من الطرق الرأسمالية في الإنتاج الصناعي و النقل و انضباط العمل لم تتطور في انجلترا أثناء ثروتها الصناعية في القرن الثامن عشر،و هو ما تواضع عليه المؤرخون، و إنما نشأت فعليا في مزارع و معامل تكرير السكر و مشروعات الشحن البحري العاملة في إنتاج السكر في الأمريكتين خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر،و رأوا بالتالي أنه لا يمكن فهم صعود الرأسمالية باعتباره ناتجا من حيث الجوهر من عنصر ما متأصل من المجتمع أو ثقافة الأوربيتين، فهو بالأحرى نتيجة لأطقم معقد من العوامل و العلاقات تعمل على نطاق عالمي،تتعلق بالعبودية بقدر ما ترتبط بالعمل

[1] المرجع السابق، ص: 123.

المأجور الحر،و بالمزارع و الترسانات بقدر ما ترتبط بالمصانع،و تتعلق بالكاريبي والبرازيل بقدر ما تتعلق بانجلترا"[1].

المبحث الثالث: مقارنة بين الوجهتين:

- تبني رؤية العالم العربي الإسلامي للأنا الأوربي على النحو التالي:فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن اصدق الظواهر الأوربية مسألة نسبية،فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها،كما سيتعرف على عظمتها الحقيقية،و بهذا تصبح الصلات مع هذا العالم الغربي أعظم خصبا، لتظفر الصفوة المسلمة إلى حد بعيد بمنوال تنسج عليه فكرها و نشاطها،و لاشك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب،و هو الذي يجعل من فوضاها الحالية مشكلة عالمية،ينبغي أن نحللها و أن نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة،و بالتالي بالمشكلة الإسلامية[2].

و قد انزلقت أوربا إلى حماة المادية،فما تمالكت أن حثت خطوها نحوها يجدوها ما أحرزه العلم من ازدهار هائل مبدع،و كانت الفجوة بين هذا العلم الذي قلب الأوضاع،و بين الضمير التقليدي الناكص تزداد اتساعا و عمقا كلما جد جديد،أو حدث اكتشاف في ميدان العلوم و غرق ذلك الضمير الذي طأطأ رأسه منذ نهاية القرن الثاني عشر أمام العلم فغمره فيضان عمي حقيقي في نهاية القرن العشرين،استودع في النفسية الأوربية (طميا) نمى فيه الفكر الديكارتي،حتى انقلب أحيانا نزعة (ديكارتية) عقلية خطيرة لقد اقتنت (الذات) الأوربية بما حررت من قوى،فاستسلمت لسحر عبقريتها[3].

و هكذا نجد أن أوربا النازعة إلى(الكم)و إلى(النسبية)قد قتلت عددا كبيرا من المفاهيم الأخلاقية،حين جردتها من أرضيتها النبيلة،و أحالتها ضروبا من الصعلكة،و كلمات منبوذة في اللغة،و الناس في أوربا ذاتها،قد احتاجوا ما درجوا عليه في حياة المستعمرات من عادات و أذواق و أفكار،فلم تعد مطامحهم تسعى لإدراك(علة)الشيء،و لا(كيفية) حدوثه،و إنما هي متعلقة بالبحث عن الكم.

---

[1] المرجع السابق، ص: 124.
[2] د. مالك ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر بدمشق،ط1 1986.
[3] المرجع نفسه، ص136.

إن النظام الذي خلق الفوضى في أوربا ذو صبغتين،فهو علمي و استعماري في آن واحد،فإذا ما كان في أوربا فكر بمنطق العلم، أما إذا انساج في العالم فإنه يفكر بعقلية الإستعمار،حتى إذا وافى إبان الأزمة عام 1930 كان المنطقان قد امتزجا،و بلغ الوحش بهذا الامتزاج بلغ أحوال الذروة.

و لقد صدق تاريخ عصرنا، فأوربا التي كان عليها أن تهدي سعي الإنسانية، قد اتخذت من مشاكل الحضارة (فتيلا) يحرق بدل أن يضيء[1].

كما تتمثل الرؤية كذلك في النظرة للآخر بشكل عام ترتكز على عوامل عديدة: منها التاريخ و الثقافة و الرؤية الدينية و الثقافية و علمية و للأسف فإن النظرة العربية للغرب نظرة شديدة القتامة و لا أحسب أنهم يلامون عليها،الغرب لا يبذل أي محاولات جادة للتقارب حتى من المصوفين بالمعتدلين من المتقفين و هذا ما أدى لهذا الصدام المخزن من جهة أخرى علينا نحن العرب أن نفرز الأمور بشكل أدق مما نفعله الآن فلا نساوي بين من يجاهر بالعداء لنا و بين منصفين يتكلمون بالعدل و بين آخرين محايدين،فلا نضع البيض سلة واحدة [2]،كما تتميز نظرة العربي للعرب بشكل عام هي أن الغرب معادي للعرب و ذلك بسبب أطماعهم في بلادنا و نهب خيراتها[3].

نحن أبناء الشرق بحاجة ماسة لننال العلم و اكتساب تكنولوجيا المعلومات من الغرب المتطور و نتفق مع الحضارة الأوربية في ضرورة مواكبة القيم العليا و المثل الإنسانية جنبا لجنب مع التقدم العلمي و نختلف مع الحضارة الأمريكية التي تقودنا لعصر المدنية بلا أخلاق[4].

في حين يرى الغرب نفسه بقوله حقيقتي سعي دائم و طلب متواصل، فهو خاضع لحكم الكنيسة، لكنه لا يشك أبدا في صواب التعريف، فلا يبحث عن مصدر آخر لتفوق الغرب[5]، قام الغرب في بداية عهد النهضة باكتشافات جغرافية كبرى، و بإصلاح ديني، و بإرساء

---

[1] المرجع السابق.

[2] د.مصطفى جبريل، الرؤية العربية للغرب، بتاريخ 08 جانفي 2004،16:50 سا
News.bbc.co.uk/hi/arabic/talking-point/newsid-3348000/3348665.stm

[3] الموقع نفسه

[5] د.عبد الله العروي، الإديولوجيا العربية المعاصرة، دار النشر المركز الثقافي العربي،ط2 1999، ص56.

قواعد علم طبيعي مبتكر، و هو في عنفوان و جرأة الشاب، من ذاته إلا ذلك العقل المغامر المتحرر في كل قيد و ذلك النشاط الدائب المتنوع، كان هذا الوعي الجديد يعادي الكنسية ويتنافى مع الوعي التقليدي المرتبط بها، لكنه كان هو نفسه ذا طابع ديني، أو على الأقل كان يرتكز على قوة الوجدان الفردي.

و في القرن 18م، و من منظور فرنسا، كان تفوق الغرب، كما كانت تجسده آنذاك إنجلترا، يتلخص في دستور ليبرالي لأن هذا العامل كان بالضبط ينقص فرنسا لتكون في مستوى إنجلترا[1].

لم يشق داعية التقنية روح فكره مما كتبه سان سيمون أو الإقتصاديون الانجليز عندما كانت الصناعة الناشئة تسحر العقول و تلهب العواطف، بل عند المتأخرين أمثال هنري جورج و لزو جورج برناردستو الذين جعلو من العلم الحديث مجرد وسيلة لتوفير الراحة و النعيم لعموم الناس.

و يستحق الغرب برجل السياسة، رغم ما يتحلى به من أنس و أدب و أناقة، ثم لا يلبث أن يندم على ذلك الإستحقاق عندما يبدو على مسرح الأحداث شخص أخر، رجل غريب خارج من لا مكان، عائد من عصور عابرة.

وأن الرأي المتغلب في الغرب هو رأي البرجوازية حتى عند الفئات الأخرى،و إن المجتمع الغربي، ككل لا يقبل فعلا و بدون تحفظ سوى السياسي الليبرالي المتواضع الطبع[2].

---

[1] المرجع نفسه، ص58.

[2] المرجع نفسه، ص59.

تحديد بعض المصطلحات:

الإستغراب: occidentalism

يمكن تعريف الإستغراب أسوة بالإستشراق فنقول هو طلب علوم الغرب أي دراسة الغرب (أوربا و أمريكا بما في ذلك روسيا و أوربا الشرقية) في جميع النواحي: لغة و عقيدة، و تاريخا ، و إجتماعيا و سياسة، و إقتصادا. و لا بد أن نفرق بين مصطلحين هما التغريب و الإستغراب.[1]

* **التغريب:** هو ما حاول الغرب أن يفرضه على الشعوب الإسلامية في تبني الفكر الغربي و المناهج الغربية و الطروحات الغربية في شتى مجالات الحياة، في السياسة، و الإقتصاد، و الإجتماع، و العمران.

أو هو سلخ الشعوب في هويتها الأصلية إلى هوية غربية عنها هي الهوية الغربية. و أطلق على من تبنى الفكر الغربي متغربين أو مستغربين أي مالوا إلى الغرب. و لكننا هنا نقصد دراسة الغرب دون التنازل عن الذات[2].

* **الإستشراق:orientalisme** يقول بارت: " الإستشراق علم يختص بفقه اللغة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو علم الشرق، و من الممكن أن نقول: إنه بناء على الإرتباط المتين بين التمدن الغربي، و التمدن الشرقي ليس علم الشرق إلا باب من أبواب تاريخ الروح الإنساني و ليس صاحب علم الشرق الحديد لهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هو جمع بين الإنقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق، و بين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية. و علم الشرق هذا علم من علوم الروح، يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية، و لغاتها و تاريخها، و حضارتها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية، و الطبيعية[3].

---

[1] علاء الدين أحمد خليفة، ضياء العسل، الإستشراق و الإستغراب، بتاريخ 11 نوفمبر 2013
Diyaa asal.blogspot.com/2013/11/blog-post-html

[2] المرجع نفسه.

[3] أحمد عبد الرحيم السايح، الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، دار النشر المصرية اللبنانية، ط$_1$، 1417، 1996م، ص12.

*** المستغرب:** هو الذي يتبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب و أدابها و حضارتها و التعبير ب(إحدى) هنا يوحي بالتخصص الدقيق في مواجهة الإستشراق بالإستغراب[1].

*** الغرب:** أخذ صفة إرادة الهيمنة بتشكيل مجموعة السبعة الكبار الذين يتحكمون باقتصاد العالم و مصيره: الولايات المتحدة و اليابان و فرنسا و ألمانيا و إيطاليا و بريطانيا و كندا فأضيفت اليابان إلى الغرب و اليابان تقع في أقصى الشرق، ما يعني أن البعد الجغرافي هنا تلاشى و فقد سحره الجيوسياسي و تزعزع مع استخدام الاقتصاديين و المختصين في التنمية لمصطلح "الشمال " بدل "الغرب" لولوج اليابان و دول جنوب شرق آسيا عالم التكنولوجيا المتقدمة[2].

*** ملخص مقدمة في علم الإستغراب:**

ملخص كتاب مقدمة في علم الإستغراب لحسن حنفي أو فكرة عامة حول هذا الكتاب الذي يعتبر مشروعا للثرات و التجديد. إذن و بالعودة إلى محتوى الكتاب، نجد انه جاء ضمن فصول ثمانية، دارت حول النقاط التالية:

فجاء في الفصل الأول التساؤل عن ماذا يعني علم الإستغراب؟ فبين في مشروعه "التراث و التحديد" بحيث يتكون هذا المشروع من جبهات ثلاثة، موقفنا مت القديم، موقفنا من التراث الغربي و موقفنا من الواقع (نظرية التفسير)، فالجبهةالأولى صدرت منذ عشر سنوات تقريبا كما صدر الجزء الأول منها "من العقيدة إلى الثورة" في طبيعة المصرية و العربية. أثرت إصدار هذا البيان النظري للجبهة الثانية" موقفنا من التراث الغربي" أو " مقدمة في علم الإستغراب" تنفيذه لأجزاءه الثلاثة مؤقتا حتى تكتمل الأجزاء السبعة للجبهة الأولى و الأجزاء الثلاثة للجبهة الثانية. بعد ذلك يتم تنفيذ البيان النظري الثالث في أجزاءه الثلاثة[3].

---

[1] علي بن ابراهيم النملة، الإستغراب: المفهوم المضطرب، ثقافة و معرفة الألوكة الثقافية.
www.alukah.net/culutre/0/100888

[2] شبكة الجزيرة الإعلامية، الغرب....ميلاد المقهوم و نهايته، تاريخ 13 أكتوبر 2004 الساعة 13:29.
www.aljazeera.net/knawled gegate/ofinians/2004/10/3.

[3] ينظر كتاب حسن الحنفي، مقدمة في علم الإستغراب، ص09.

و تبدوا الجبهة الأولى أضخم و أكثر تفصيلا لأنها أعمق في التاريخ إذ أنها تمتد إلى ما يزيد على الآلاف و أربعمائة عام و هي أكثر حضورا في وعينا القومي و تاريخنا الثقافي.
أما أجزاء الجبهة الثانية فقد تم ضمها في أقل قدر ممكن بحيث يتم التركيز على بنية الموضوع ذاته و هو الوعي الأوروبي أكثر من التركيز على مراحله التاريخية(العصر الوسيط- عصر أباء الكنيسة والعصر المدرسي المتقدم و المتأخر) و الإصلاح الديني و عصر النهضة، و تشير هذه الجبهات الثلاثة إلى جدل الأنا و الأخر في واقع تاريخي محدد فالجبهة الأولى "موقفنا من الثرات القديم" تضع الأنا تاريخها للماضي و موروثها الثقافي و الجبهة الثانية "موقفنا من التراث الغربي" تضع الأنا في مواجهة الأخر المعاصر و هو الوافد الثقافي الغربي أساسا، و الجبهة الثالثة"موقفنا من الواقع فإنها تضع الأنا في خضم واقعها المباشر تحاول تنظيره تنظيرا مباشرا، فإذا كانت الجبهة الأولى تتعامل مع الوافد فإن الجبهة الثانية تتعامل مع الموروث. و الواقع أن الجبهات الثلاثة ترد إلى جبهتين إثنين فقط النقل و الإبداع و الجبهات الثلاثة ليست منفصلة عن بعضها البعض بل تتداخل فيما بينها و يخدم بعضها بعض[1].
فالجبهة الثانية: موقفنا من التراث الغربي بالرغم أنها أقصر عمرا، حوالي مائتي عام في وعينا القومي، في مقابل الجبهة الأولى حوالي أربعة عشر قرنا إلا أنها بدأت تأخذ حجما في وعينا القومي أكثر من حجمها الحقيقي و هو ما نسميه بظاهرة التغريب.
فقد تم تعريف الإستغراب في مقابل الإستشراق و بيان دوافعه و الرد على المركزية الأوربية*، و ضرورة التحول من النقل إلى الإبداع، ثم بيان نتائج العلم المتوقعة، ثم تحديد جذوره التاريخية، و الحالة للمراهنة لإرهاصات هذا العلم، فقد ننشأ علم الإستغراب في مواجهة الغريب و امتد إلى أساليب الحياة اليومية و نقاد اللغة و مظاهر الحياة الماصة[2].

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص11.
* المركزية الأوربية: تشكل ثنائية المركزية/ اللامركزية إحدى نقاط الإنطلاق الإنسانية للتفكير في الدولة و في علاقتها بالسلطات المحيطة أيضا، و كلما تمركزت الدولة، عينيا إدارة تسيطر على مجمل أراضيها على نحو واحد، وواصلت على فرص سياستها الخاصة على التجمعات الإقليمية أنظر برتراند بادي، فليب برو، ترجمة هيثم اللمع، عالم السياسة و المؤسسات السياسية، مجلد المؤسسة الجامعية لدراسات و النشر و التوزيع بيروت، ط$_1$، 1245/2005هـ، ص342.
[2] المرجع نفسه، ص12.

كما تطرق كذلك حسن الحنفي إلى الفرق بين علم الإستشراق و الإستغراب فالإستغراب هو الوجه الأخر و النقيض و المقابل من الإستشراق، فيهدف علم الإستغراب إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا و الأخر كذلك وضح للقارئ وظيفة علم الإستغراب التي تتمثل في مهمته و البداية المتمثلة في الإرماصات لهذا العلم كما سبق لنا التعرف عليها، أوضح لنا كذلك دوافع و اهداف علم الإستغراب المتعددة.

أما في الفصل الثاني فتطرق إلى المصطلحات، و المصادر المعلنة و الغير المعلنة لابد من تحديد مصطلحات ائناسية في هذا العلم ضروري حتى ينبني العلم على أسس واضحة و تكون له مفاهيمه الخاصة مثل: التكوين، البنية، المصادر المعلنة، المصادر الغير المعلنة، و هذه المفاهيم الثلاثة: التكوين، البنية، و المصير إنما تشير إلى أبعاد الزمان الثلاثة الماضي و الحاضر و المستقبل، التكوين في الماضي و البنية في الحاضر و المصير للمستقبل فقد تم تكوين العقل الأوربي عبر تاريخه الطويل عبر عشرين قرنا إبتداء من مصادره في العصور القديمة و الوسطى حتى بدايته و نهايته في العصور الحديثة، و يلاحظ أن التكوين أضخم من البناء إذ يضم للتكوين فصول خمسة: المصادر و البداية و الذروة و النهاية، البداية، و بداية النهاية في حين أن البداية فصل واحد[1]. و كذلك المصير فصل واحد. و هذا له دلالته على الوعي الأوربي ذاته، و لفظ الوعي"أفضل من لفظ التحرر الوعي الحضوري أما لفظ "أوربي" فإنه يدل على المعنى "التاريخي الحضاري" و ليس على الموقع الجغرافي السياسي كما يدل على ذلك لفظ "غربي"، الوعي الأوربي ليدل على معنى و نمط في حين أن التراث الغربي يشير إلى حصيلة إنتاج ثم في الغرب[2].

المصادر المعلنة للوعي الأوربي:[3]

و للوعي الأوربي أربعة مصادر: إثنان معلنة، إثنان غير معلنة فالمصدران المعلنان هما المصدر اليوناني الروماني Greco Romain ، و المصدر الثاني اليهودي المسيحي Judeo christain أما المصدران الغير المعلنان فهما المصدر الشرقي القديم، و البيئة

---

[1] المرجع السابق، ص30.
[2] المرجع نفسه، ص109.
[3] المرجع نفسه، ص18.

الأوربية نفسها و غالبا ما يذكر المصدران الأولان و لا يذكر المصدران الآخران توضيحا بأن الحضارة الأوربية خلق عبقري أصيل.

أ- المصدر اليوناني الروماني: و هو المصدر الذي أعطى الوعي الأوروبي تصوراته و مفاهيمه و لغاته و بداية علومه، فاليونان جغرافيا جزء من أوربا، و حضاريا مصدر ثقافته الأولى[1].

ب- المصدر اليهودي المسيحي: إذا كان المصدر اليوناني الروماني يمثل الرافد العلماني في الوعي الأوروبي فإن المصدر اليهودي المسيحي يمثل الرافد الديني و باجتماع الرافدين في الواقع معين، في زمان و مكان، تنشأ الحضارة.

إضافة إلى هذا يوجد مصدران للوعي الأوروبي و لكن عدم الإفصاح عنهما و التعريف بهما، و إن كان بعض يتكلم عنهما شرا و عدم التصريح بهما.

أ- المصدر الشرقي القديم: و طبيعي أن تكون حضارات الشرق القديم احد مصادر الوعي الأوروبي نظرا لأن أوربا هي الإمتداد الغربي لأسيا جغرافيا، و تاريخيا و حضاريا. و قد دخلت من قبل ديانات الشرق في الدين الروماني حيث كان الشرق في ذلك الوقت مهد الحضارة في السياسة، و الإجتماع، و الإقتصاد، و الدين، و القانون، و العلم و الأدب، و الفنون، و الصناعة، و التاريخ، و الفلسفة.

ب- البيئة الأوروبية نفسها:

هذا المصدر كذلك غير مصرح و معلن عنه، إذا لا يتحدث احد عنه مع انه مصدر هو الأساس في التراث الغربي ككل[2].

و تتضح البيئة الأوروبية نفسها من استعمال الفلاسفة و المفكرين باستمرار ألفاظ مثل: فلسفتنا، حضارتنا، عصرنا، ثقافتنا، و عينان علومنا....إلخ و نظرا للإنبهار بالغرب و الوقوع تحت وهم أنه هو الثقافة العالمية أو ممثلها الأول أصبح المفكر لا يكون مفكرا إلا إذا كان طرفا في الصراع بين مفكريها: ديكارت- بيكون – كانط....إلخ.

لقد استطاع عصر النهضة أن يعلن عن نهاية مرحلة و بداية أخرى في الوعي الأوروبي، نهاية مرحلة المصادر، و بداية مرحلة التكوين الجديد، لقد استطاع إحداث قطيعة بين

---

[1] المرجع نفسه، ص116.
[2] المرجع السابق، ص118.

الماضي و الحاضر، و نقد الموروث حتى يمكن التحرر منه كمصدر للعلم و كقيمة للسلوك[1].

أما الفصل الثالث: فيتمثل في تكوين الوعي الأوربي

1/ العقلانية: (القرن السابع عشر)

يبدأ التكوين الجديد للوعي الأوروبي في العصور الحديثة على مدى أربعمائة عام في القرن السابع عشر حتى القرن العشرين بعده اتجاهات تعبر عن بواعث دفينة خفية بعد بدايته الأولى في الكوجيتو الديكارتي " فأنا الفكر فأنا إذن موجود، ينطلق من هذه البدرة الأولى التي عانت حصيلة الإصلاح الديني و عصر النهضة تياران متباعدان منفرجان و يزداد التباعد و الإنفراج بينهما كلما تقدم الوعي الأوروبي في الزمان[2].

- الكوجيتو الديكارتي:

و يعتبر هوسرل الكوجيتو الديكارتي نقطة البداية في الشعور الأوروبي أي أن ديكارت بهذا المعنى هو المؤسس الأول للفينولوجيا، و هو الذي اكتشف عالم الذات، و لذلك ربط هوسرل نفسه به في كتابه "تأملات ديكارتية" و اعتبر ديكارت هو الذي بدأ المشروع و أن هوسرل نفسه هو الذي أكمله بالفعل، و أن الشعور الأوروبي قد بدأ مع ديكارت و انتهى عند هوسرل، و بالتالي تكون الحضارة الأوروبية قد حققت مشروع حياتها و هو إقامة الفينومينولوجيا التي تعتبر الصورة النهائية للفلسفة الترسندتالية و تحقيق المثالية الألمانية[3].

2/ اليمين و اليسار الديكارتي: فإن كبار الديكارتيين، ماليرانش، ليبنتز، اسبينوزا فقد انقسموا إلى يمين و يسار، اليمين يؤول المذهب و يقرؤه و اليسار يؤوله و يقرؤه من الجانب التحرري.

أما الديكارتية في العلوم الإنسانية فقد تحولت الديكارتية من مجرد منهج يطبقه الديكارتيون بل إلى روح العصر كله، يظهر في شتى أنواع المعرفة الإنسانية، الدين و الأخلاق و القانون و السياسة و الإقتصاد....إلخ.

---

[1] المرجع نفسه، ص143.
[2] المرجع نفسه، ص249.
[3] المرجع السابق، ص250.

3/ العقلانية: القرن الثامن عشر:

1/ كانط و المثالية الترسندنتالية: فإن كانط استطاع أن يضع أسس مثالية الحديثة و مصطلحاته مثل: النقد، الترسندندالية، الحساسية، الذهن، العقل، الصورة، المادة، الزمان..إلخ.

كذلك تطرق في هذا الفصل إلى التنوير الإيطالي و الألماني و التنوير الإنجليزي و كذلك الأمريكي[1].

أما الفصل الرابع: فتمثل في تكوين الوعي الأوروبي (الذروة)

إذن يبلغ الوعي الأوروبي الذروة بعد كانط عند الكانطيين ثم يبرز من بينهم هيجل ليبلور هذه الذروة في اليسار الهيجلي و الهيجلية الجديدة في اليسار الصاعد الذي خرج من ديكارت إذن و تشمل الكانطية اتجاهين: الأول الكانطية التقليدية " الأوروثوذكسية" ممن كانوا معاصرين له. كما أنها تشير إلى مجموعة من الفلاسفة الكانطيين الذين حاولوا الجمع بين المطلبين الأساسين لكانط العقلانية و الحسية، أما الإتجاه الثاني فيمثل في الكانطية بعد كانط و تشير إلى أربعة كانطيين الذين أتو بعد كانط في القرن التاسع عشر فيتشه و هيجل، و شلنج، و شونبهور. بعد ذلك تحدث عن الرومانية التي كانت كرد فعل لكانط، ثم تلتها الرومانسية الشعرية[2].

كما تناول كذلك تيار الليبرالية الإشتراكية الذي ظهر في القرن التاسع عشر و يتمثل في الفكر السياسي بروافده العديدة الليبرالية و تفريعاتها مثل الفوضاوية و البرجوازية و الوطنية و الإشتراكية سواء كانت مثالية طوباوية أخلاقية دينية أم ***** كما مثلتها الماركسية.

كما أن الإشتراكية الطوباوية تحولا طبيعيا من الليبرالية الفردية و الفوضوية و البرجوازية الوطنية إلى حلم جماعي بالتقدم و العدالة الإجتماعية، أما الإشتراكية المادية و هي آخر صياغة لتطور الفكر الإشتراكي قام بها ماركس معتمدا على المادية الداروينية التي كانت شائعة، و تعبر عن روح العصر و قد عبر عنها ماركس في مرحلة "رأس المال". و بالتالي أصبح منهج ماركس أكثرا المناهج الملائمة للمعرفة و التغيير العالم، أما

---

[1] المرجع نفسه، ص282.
[2] المرجع نفسه، ص332.

بالنسبة للفصل الخامس المعنون بتكوين الوعي الأوروبي "نهاية البداية" أولا: نقد المثالية فتحدد نهاية الوعي الأوروبي بمصير التيارين الأساسين فيه الذين بدأ من ديكارت و بيكون منفردين، واحد إلى الأعلى و هو المثالية أو العقلانية أو الصورية، و الثاني إلى الأسفل و هو الواقعية أو التحررية أو المادية ثم بلغا الذروة[1].

أما البرجماتية فأصبحت شعار الوعي القومي الأمريكي، فمعظم البراجماتيين مؤسسوها و مطوروها فلاسفة أمريكيون مثل بيرس، وليم جيمس....إلخ.

تطرق كذلك إلى الظاهريان عند هوسرل هي تقريب خاتمة المطاف في تكوين الوعي الأوروبي لأن الفلسفة الوجودية هي تطبيق للمنهج الظاهريات في الوجود. و تعتبر ظاهريات هوسرل مراجعة لمحاولات السابقة للنقد المنطق الصوري و نقد المنطق التجريبي كما أن لم يكتفي هوسرل بوضع الظاهريات كعلم بل حاول صياغتها كمنهج للعلوم الإنسانية مكون من خطوات ثلاث: تعليق الحكم، والبناء أو التكوين، والإيضاح ويكتفي الدارسون بذكر الخطوتين الأولين دون الثانية[2].

ففي الفصل السادس بعنوان تكوين للوعي الأوربي "بداية النهاية".

أولا: الفلسفة الوجودية: إذن كما كان تكوين الوعي الأوربي يبدأ بالمصادر ثم يبدأ في القرنين السابع عشر والثامن عشر ثم يبلغ الذروة في القرن التاسع عشر ثم يصل إلى نهايته في القرن العشرين إلا أن تضخم النهاية التي ورثت تراكم الوعي الأوروبي كله، كما كانت الظاهريات في إعلان الوعي الأوروبي عند نهايته بعد اكتمال المثالية العربية وضم الشقين فيه وتأكيد وحدته، أما الوجودية الظاهرية فيطبقون المنهج الظاهرياتي في الوجود، ويصدرون عليه أحكاما كما أصدر الفلاسفة بعد كانط أحكاما على الشيء في ذاته، أن الوجودية المستقلة تعني على تطبيق المباشر للظاهريات وإن نشأت من نفس التواقع نقد العقلانية الصورية التي أبرزتها المثالية، ونقد الحسية التجريبية التي تمثلها الوضعية، والبحث في عالم الحياة واكتشاف الوجود.

---

[1] المرجع السابق، ص404.
[2] المرجع السابق، ص407

أمّا الشخصانية تيار عام نشأ في جميع أنحاء القارة الأوروبية وامتد في الولايات المتحدة وبالإضافة إلى هذا الامتداد العرضي الجغرافي فإنها أيضا امتدت طولا في التاريخ إذ يرجعها البعض إلى بداية الوعي الأوربي.[1]

أمّا الفكر الاجتماعي يضم عديدا من مفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد والأنتروبولوجيا والحضارة والتاريخ أمّا الفلسفة التحليلية هي آخر ما أبدعه الوعي الأوربي، تجمع بين المنهج والفلسفة بين النظرية والتطبيق وتدل على رغبة دفينة في التفكيك.[2]

أما بالنسبة للفصل السابع بعنوان بنية الوعي الأوربي.

أولا: العقلية الأوربية: إذا كان الوعي الأوربي ينتسب إلى حضارة طردية أي تنشأ بفعل الطرد من المركز وكانت الحضارة الإسلامية كحضارة مركزية تنشأ بفعل المركز ذاته تكون بنية الوعي الأوربي حصيلة تكوين وليس بنية مستقلة سابقة عليه تقوم على تصور ثابت للعالم.

فالقطيعة المعرفية كان الدرس المستفاد من مصادر الوعي الأوربي وهو في طور التكوين إن كانت الكنيسة في عصر الأباء هي المسيطرة في أمور الدين وعلى شؤون العقائد تنظر ما تشاء وتقتل من النصوص ما تريد، فأصبحت الكنسية سلطة أولى وأخيرة في عقائد الإيمان ومقياس صحته. فبالنسبة لحدود العقل لقد استطاع أن يصل إلى أعلى درجة في الوعي الأوربي ممكنة من العموم والشمول كما وضحت في الرياضيات الشاملة عند ليبنتر ومع ذلك كان للعقل حدود جعلته قاصرا على إمداد للوعي الأوربي بكل ما يحتاج قصر الجانب النظري في الوعي الأوربي عن اشباع حاجته، وكان مطالب الجسد كانت أوسع نطاقا من استعدادات الروح.[3]

انفصال الواقع عن القيمة: ومع ذلك بدأ الواقع في انفصال عن القيمة تدريجيا منذ بداية الوعي الأوربي حتى بلغ ذروته في النهاية، فحدثت أزمة قرن العشرين، وكأن للعقل

[1]-المرجع السابق، ص517
[2]-المرجع السابق، ص560
[3]- المرجع السابق، ص611

والقيمة كان عاجزين عن احتواء للواقع كله، كان العقل محدودا بالعقل وكانت القيمة محدودة بالقومية والعرقية بدأ ذلك واضحا في اليمين الديكارتي وفي اليمين الكانطي.[1]
فالوعي التاريخي لقد أدت ظروف الوعي الأوربي من قطيعة معرفية وتنظير وفصل بين الواقع والقيمة وتوالد المذاهب الفلسفية إلى جعله وعيا تاريخيا، وأصبحت هذه الضفة المكنسية إحدى علامات فخره على غيره من الشعوب والحضارات باعتبار أنه هو الوحيد الذي استطاع اكتشاف الزمان الإنساني والتاريخ الإنساني أما مراحل الوعي الأوربي بالرغم من أنّها أقرب إلى الكوين منها إلى البنية إلا أنّها في الحقيقة الأمر أقرب إلى نقد وطائف العقل واكتشاف الوعي الأوربي لذاته من خلال تجليات العقل لملأ الفراغ النظري والعملي في العصور الحديثة، كما يمكن تحديد أربعة مراحل وهي العقلانية في السابع عشر والتنوير الثامن عشر والعلم في التاسع عشر وأزمة الإنسان والعلوم الانسانية في القرن العشرين.[2]
وأخيرا فجاء في الفصل الثامن والأخير "مصير الوعي الأوربي".
أولا: جدل الأنا والآخر: إن جدل الأنا والآخر هو صراع بين الجديد والقديم على مستوى حضارات وفي مسار التاريخ، فيحدث عند كل شعب وعلى مستوى الدوائر الحضارية الكبرى، فإذا كان الغرب هو الأنا فإن الشرق بالنسبة إليه هو الآخر، والعكس بالعكس، وإذا كان العالم الثالث هو الأنا كان الشرق والغرب على السواء هما الآخر بالنسبة له.[3]
ثانيا: تداخل مسار الأنا والآخر: ونظرا للتفاعل التاريخي المتبادل بين مسار الآنا والآخر، ونظرا للقرب الجغرافي على شاطئ حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي والشمالي حيث يقطن الآنا والآخر، ونظرا لما يمثله كل منهما في تحد حضاري للآخر عندما يكون أحدهما في مرحلة الثروة والآخر يبين تداخلهما ثلاث مرات: الأولى في بداية نشأة الحضارة الاسلامية في القرن الأول ميلادي والثانية في نهاية المرحلة الأولى للحضارة الاسلامية في القرن السابع الهجري قبل ظهور ابن خلدون والتي تقابل بداية الوعي الأوربي في العصور الحديثة.

[1]- المرجع السابق، ص620
[2]-مرجع السابق، 670
[3]-المرجع السابق، ص695

الصورة المتبادلة بين الأنا والآخر:

1- نظرا لتداخل المسارين على الأقل مرتين بين الأنا والآخر فقد تكون كل منهما للآخر صورة ذهنية في وعيه طالما يتعامل معه متأثرا به أو مؤثرا فيه، لقد كانت صورة الآخر عبر مراحله الثلاثة في وعي الآنا صورة متخلفة، هذا التقابل بين الصورتين هو أحد عوامل الاستعمار والتحرر، وأحد دوافع التحدي هزيمة مرة ونصرا مرة أخرى.[1]

2-مظاهر العدم في الوعي الأوربي:

والسؤال المطروح: ما هو مصير الوعي الأوربي؟ إذا كانت هذه هي مصادره وهذا هو تكوينه، وتلك هي بنيته، وهكذا كانت نهاية بدايته وبداية نهايته تعبيرا عن أزمة فما هو مستقبله ومصيه؟ لقد بدأ الوعي الأوربي متفائلا، ظانا أنّه قادر على أن يعيش إلا الأبد وها هو يغشاه التشاؤم، وتسوده روح العدمية، وإذا كان القوس قد بلغ نهايته وإذا كانت الذروة قد اكتملت فهل هو قادر على الاستمرار في صورة الزيادة؟ ألا يخضع الوعي الأوربي ذاته لقانون التاريخ ومسار الحضارات[2]

3- أزمة الغرب:

إنّ كل فلسفات العدم ومظاهر الموت في الروح كما تبدوا في الفن إنّما تعبر عن أزمة دفينة في الوعي الأوربي أعمق من مظاهرها وأشكال تعبير ما، عبّر عنها هوسرل في آخر "أزمة العلوم الأوربية" أن أزمة العلوم الأوربية إنّما هي في الحقيقة الأمر أزمة الوعي الأوربي بالإنسانية، لقد تجلت هذه الأزمة في المذاهب السياسة وفي الإيديولوجيات وفي القيم وفي الاقتصاد وفي الطاقة وفي الإنتاج والتسويق، في التضخم.

وفي سياق التسلح والحظر النووي ويعبر مفكرون والغرب عن هذه الأزمة بعبارات انهيار الغرب، سقوط الغرب، انتحار الغرب، نهاية الغرب...الخ وكأن الغرب قد قام

---

[1]-المرجع السابق، ص709

[2]- المرجع السابق، ص717

الأنا: الجزء الشعوري الواعي، أو الجانب متمدين المعقول في شخصيته الفرد والذي نعرف عنه الكثير عادة وتنشأ الأنا عن الدوافع الفطرية وتنفصل عنها نتيجة الخبرة والتدريب والتعلم، أنظر سمير سعيد حجازي، معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عربي فرنسي، بلد الطباعة لبنان، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2005،ص132.

بدورته الأخيرة منذ الإصلاح الديني إلى النهضة إلى العقلانية إلى التنوير إلى الثورة الصناعية ثم إلى الأزمة في النهاية.[1]

- هل هناك مظاهر أمل في الوعي الأوربي:

قد يبدو لبعض المتفائلين أن للوعي الأوربي بالرغم من مظاهر العدم التي بدأت تتبدي فيه خاصة بعد الحرب الأوربية إذا استطاع أن ينهض بنفسه ويبدأ نهضة ثانية ويتولد من جديد إذ لديه ميزات يتميز بها مثل فائض الإنتاج والقوة العسكرية- شهوة العلم وثورة المعلومات كما يعتبر مجتمع الرفاهية والخدمات كذلك يتصف بمظاهر الأمل في وعي العالم الثالث وحركات الوطني.

كما ينص كتابة الضخم هذا والذي يعتبر مشروع كبير في علم الاستغراب بخاتمة في النقد الذاتي وحدود العمر: وبعد أن أنها من صياغتها باتت عيوبها، فالعيوب لا تظهر إلا في النهاية وأوجه النقص لا تنكشف إلا بعد الاكتمال فهناك فرق بين الإمكان والتحقق، بين عالم الأذهان وعالم الأحيان، الأول كماله لسهل ونظري والثاني ناقص ومعاب، وحتى ولو تمت إعادة صياغة هذه المقدمة من جديد لتلاقي أوجه النقص والاقتراب من الكمال النظري الأول لبدت عيوب أخرى.[2]

- إعلام علم الاستغراب:

ومن بين المفكرين والمثقفين الذي كان لهم الفضل في البحث والدراسات في هذا المجال من حيث الاطلاع على الغرب ودراسته من كل النواحي من خلال علم الاستغراب وفهم منظومته الفكرية والعقدية والسلوكية وقد استفاد الغرب من هذه المنهجية في الكشف عن ذاته وقدراته حين درس من طرف العالم الإسلامي، فسنتعرف عليهم فيما يلي:

[1]-المرجع السابق، ص720.
[2]-المرجع السابق، ص722.

لمحة عن حسن حنفي

أ - حياته و نشأته :

حسن حنفي (1935) هو مفكر مصري،يقيم في القاهرة،يعمل أستاذا جامعيا واحد من منظري تيار اليسار الإسلامي، و تيار علم الاستغراب ، أحد مفكرين العرب المعاصرين في أصحاب المشروعات الفكرية العربية.[1]

مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية و رأس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة له عدد من المؤلفات في فكرة الحضارة العربية الإسلامية . حاز على درجة الدكتورة في الفلسفة من جامعة السوريون و ذلك برسالمين لدكتوراه ، قام بترجمتها إلى العربية و نشرهما في عام 2006 م تحت عنوان " تأويل الظاهريات " و " ظاهريات للتأويل " و قضى في إعدادهما في السربون عشر سنوات عمل مستشارا علميا في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو خلال الفترة من (1985- 1987) . و هو كذلك نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية ، و السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية في لقاء معه على قناة دريم 02 برنامج العاشرة مساءا مع المذيعة منى الشاذلي قال أنه انتمى لأخوان المسلمين في مرحلة الثانوية و الجامعة و أنه كان زميلا للمرشد السابق مهدي عاكف في شعبة باب الشعرية لكنه تحول فكريا ، قائلا أن ملفه في وزارة الداخلية مصنف تحت عنوان إخواني شيوعي ، و أنه يدعو إلى اليسار الإسلامي و قال أن الكثير من الأتراك و الماليزيين و الأندلسيين و الإسلاميين استفادوا من أفكاره و أطروحاته.

ب -التدرج الوظيفي :

- مدرس فلسفة – كلية الآداب – جامعة القاهرة 1967-1973.
- أستاذ مساعد فلسفة – كلية الآداب - جامعة القاهرة 1973- 1980 .
- أستاذ الفلسفة - كلية الآداب - جامعة القاهرة 1981-1995.
- أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بفاس- المغرب 1982 – 1984.
- رئيس قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة القاهرة- 1988-1994.

---

[1] . "الموسوعة الحرة " ، حسن حنفي ، بتاريخ 12 فبراير 2017 الساعة 19:49 .

- أستاذ متفرغ كلية الآداب - جامعة القاهرة – 1995 و حتى الآن [1].

ج -أعماله :

- سلسلة " موقفنا من الثرات القديم " .
- التراث و التجديد (4 مجلدات).
- في العقيدة إلى الثورة (1988) .
- حوار الأجيال.
- من النقل إلى الإبداع (9مجلدات).
-موسوعة الحضارة العربية الإسلامية.
- مقدمة في علم الاستغراب .
- فيشته فيلسوف المقومة .
- في فكرنا المعاصر .
- في الفكر الغربي المعاصر .
- حوار المشرق و المغرب .
- دراسات إسلامية.
- اليمين و اليسار في الفكر الديني .
- من النص إلى الواقع .
- من الغناء إلى البقاء.
- من النقل إلى العقل .
- الواقع العربي الراهن.
- حصار الزمن .[2]

د -**الجوائز :**

- حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية عام 2009 + أهم تلاميذه في مصر .

---

[1]. الموقع السابق.
[2]. الموقع السابق .

في حوار مع إحدى المجلات المصرية قال أن أهم تلاميذه في مصر :

- نصر حامد أبو زيد (1943-2010) .
- علي مبروك الأستاذ المساعد بقسم الفلسفة ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة 1960.
- كريم الصياد المدرس المساعد بقسم الفلسفة ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة و حاليا يدرس الدكتوراه في Universitat Zukohn بألمانيا الاتحادية في نظر التأويل الإسلام (1981- ؟).[1]
- **لمحة عن ادوارد سعيد و أهم أعماله :**

أ - حياته و نشأته :

ولد ادوارد سعيد في القدس في الأول من نوفمبر سنة 1935 والده كان يحمل الجنسية الأمريكية و هو في الديانة المسيحية الأرثوذوكسية و كان رجل أعمال و خدم في الحرب العالمية الأولى تحت إمرة جون بيرشنغ و قد انتقل الأب إلى القاهرة قبل ولادة إدوارد بعقد. أما والدته فهي أردوكيسة أيضا في مواليد مدينة الناصرة و كانت نصف لبنانية .

عاش ادوارد سعيد حتى العمر 12 سنة متنقلا بين القاهرة و القدس و قد التحق في المدرسة الإنجليزية و مدرسة المطران في القدس سنة 1947.

لكن المحامي و الصحفي الإسرائيلي جوستوس وينر رغم بأن ادوارد سعيد قد قضى هذه الفترة في القاهرة حيث كانت أعمال عائلته و لم يلتحق بمدرسة المطران في القدس سوى لفترة قصيرة جدا [2].

ألتحق ادوارد سعيد بكلية فكتوريا في الإسكندرية و طرد في الكلية سنة 1951 م كو نه مشاغب ليرسله والده إلى مدرسة داخلية نخبوية في الولايات المتحدة في ماساتشوستس و قد ذكر سعيد بأنه كانت سنة تعيسة شعر فيها بخارج المكان . ما لبث سعيد أن أدار نفسه بشكل جيد و يحسن صنيعا في المدرسة ليحوز الترتيب الأول أو الثاني على مئة و ستين طالب . وقد أثرت هذه السنة على حياته المستقبلية لمقابلته أناس في ثقافات عدة للتشابك و

---

[1] . الموقع السابق .

[2] . ويكيبيديا : الموسوعة الحرة " ادوارد سعيد بتاريخ 30 مارس 2017 ، الساعة 14:49 .

Https ://ar.wikipedia.arg/wiki/ ادوارد سعيد

بيولت الإحساس لديه بخارج المكان ثم تابع دراسة الفن و حاز على إجازة بها من جامعة برنستون سنة 1957 م و ما جستير الفن سنة 1960 م ثم حصل على شهادة الدكتوراه باللغة الإنجليزية و الآدب المقارن سنة 1964 م من جامعة هارفرد . وقد كان متقن للغة الانجليزية و العربية و الفرنسية[1] .

ب/ نشاطه :

انضم ادوارد سعيد سنة 1963 م إلى جامعة كولومبيا قسم اللغة الإنجليزية و الأدب المقارن حيث بقي هناك حتى وفاته سنة 2003 م . عمل كأستاذ زائر للأدب المقارن في جامعة هارفرد 1974. و في سنة 1975. 1976 . أصبح زميل لمركز الدراسات المتقدم للعلوم السلوكية للشارع لجامعة ستانفور.

أصبح سنة 1977 م أستاذ مساعد للغة الإنجليزية و الأدب المقارن في الجامعة كولومبيا و أصبح في وقت لاحق أستاذ للسلطنات القديمة و تأسيس حقوق الإنسان، كما عمل سنة 1979 كأستاذ زائر في جامعة جونز هوبكينز كما عمل كأستاذ زائر في جامعة كيل و حاضر في أكثر من مئة جامعة حصل سنة 1992 على منصب أستاذ جامعي و هي أعلى درجة علمية أكاديمية في جامعة كولومبيا[2].

كما عمل كرئيس لج مـعية اللغة الحديثة ، و محرر في فصلية دراسات عربية كما كان عضوا في الأكاديمية الأمريكية للفنون و العلوم و عضو تنفيذ في نادي القلم الدولي و الأكاديمية الأمريكية للفنون و الأداب و الجمعية الملكية للأدب و الجمعية الأمريكية للفلسفة.

كما كان ادوارد سعيد ينشر بشكل دوري مقلات في دورته ذانيشن و صحيفة الغارديان و مجلة لندن ريفيو أوف بوكس و صحيفة ليموند ديبلوماتيك و صحيفة كونتربوش و صحيفة الأهرام إضافة إلى صحيفة الحياة . و قد ترجمت كتاباته إلى ست و عشرون لغة و شملت كتاباته أمور سياسية و أدبية و شؤون الشرق الأوسط و الموسيقي والثقافة[3].

---

[1] الموقع السابق.
[2] الموقع السابق.
[3] ا لموقع السابق.

ج- **أعماله :**

يعتبر كتاب " جوزيف كونراد و رواية السيرة الذاتية " الصادرة سنة 1966 م أول أعمال ادوارد سعيد وهو امتداد لأطروحته بعد ذلك جمع ادوارد سعيد أفكار استقاها من أعمال جيا مباتيسنا و وغيره ليضع كتاب " بدايات القصد و المنهج " سنة 1974 م ليشرح الأسس النظرية للنقد الأدبي. و من بين كتبه النقدية " العالم و النص و النقد " سنة 1983 م وهو بمثل انطلاقة جديدة للنظرية الأدبية لتلبية تلك النظرية أو هذا النظام الإيديولوجي لذلك يرى ادوارد أنه يجب أن يحافظ الناقد الأدبي على مسافة واحدة في كل الثقافات و العقائد الأيديولوجية و التقليدية و المعتقدات [1] نشر كتاب " تمثلان المثقف " سنة 1994 م و هو عبارة عم مجموعة محاضرات ألقاها بي بي سي عن ظهور المثقف الإعلامي و التمايز بين أنواع المثقفين بين مثقفين يرتبطون بمؤسسات تستخدم المثقفين لتنظيم مصالحها و اكتساب مزيد من السلطة و السيطرة أي وظيفتهم تغير العقول و توسيع الأسواق و مثقف تقليدي يقوم بعمل ما و يواصل القيام به من دون تغيير جيلا بعد جيل مثل المدرس و الراهب و الإداري و مثقف نخبوي يعتبر نفسه ضمير الإنسانية.
كما كان له اهتمام بالموسيقي من خلال كتاب " متتاليات موسيقية " كما نشر العديد من الأعمال تخص القضية الفلسطينية سنة 1978. كما له كتاب كذلك مسمى ب "مسألة فلسطيني" سنة 1979 م و كتاب "تغطية الإسلام " سنة 1980 م . الذين اعتبرهما ادوارد تكملة لكتاب الاستشراق [2].

د. **الجوائز:**

إلى جانب تكريمه بعضويات و المشاركة في العديد من المؤسسات المرموقة، حصل إدوارد سعيد على 20 شهادة فخرية في جامعات عالمية، فحصل في جامعة هارفدر على جائزة بودين (Bowdoin frize) و حصل على جائزة ليونيل تريلينغ (Lionel trilling) من قبل الجمعية الأمريكية للأدب المقارن، و على جائزة سبينوزا، وفي سنة 2001 حصل على جائزة لانان الأدبية عن مجمل إنجازاته و في سنة 2002 جائزة أمير

[1] الموقع السابق.
[2] الموقع السابق.

أستورياس كما كان أول أمريكي يحصل على جائزة سلطان بن علي العويس لفئة غير الروايات، و حصلت في سنة 2000 على جائزة كتب أنسفيلد ولف لنفس الفئة، و جائزة مورتن داويت زابل للأدب (Marton dauwen zabel) كما دون اسمه كراعي فخري لجامعة الجمعية الفلسفية و كلية ترينتي في دبلن بعد وفاته بوقت قصير[1].

ه. وفاته:

توفي في إحدى مستشفيات نيويورك في صباح 25 سبتمبر 2003 عن عمر ناهز 67 عاماً بعد صراع دام لـ 12 عاماً مع مرض ابيضاض الدم الليمفاوي المزمن (اللوكيما). و كان قد أوصى أن ينشر رماده في دولة عربية و اختار لبنان بحضور شقيقته، و زوجته مريم و ولديه نجلاء و وديع و بعض الأصدقاء المقربين بناءاً على وصيته.

نشر العديد من الكتاب المرموقين كلمات التأبين لإدوارد و من بينهم الكسندر كوكبيرن و شيموس دين و كريتوفر هيتشنزا، و توفي جدت و مايكل وود و طارق علي.

أعادت جامعة بيرزيت سنة 2004 تسمية مدرستها الموسيقية باسم معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى تكريماً له[2].

- **لمحة عن مازن صلاح مطبقاني: و أهم أعماله:**

أ. الولادة و المنشأ:

ولد الدكتور مازن مطبقاني في الكرك بالأردن يوم الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة 1396 الموافق 22 مارس 1950، و والده الشيخ صلاح حامد المطبقاني الذي هاجر إلى الأردن مع جدّه حامد أحمد المطبقاني في أثناء الحرب العالمية الأولى حينما اضطر والي المدينة المنورة العثماني فخر الدين أهل المدينة إلى شركها نظراً لحاجة الجيش العثماني إلى المؤن التي كانت في المدينة. وجد الدكتور مازن ممن تلقوا العلم في المسجد النبوي الشريف بالإضافة إلى إتقانه مهنة العطارة حتى كان يلقب في الأردن بالعطار و لكنه بجانب العمل في العطارة كان إمام و خطيب أحد المساجد في المدينة الكرك وعرف الشيخ حامد بالصلح و الورع و التقوى و الطيبة[3].

---

[1] الموقع السابق.
[2] الموقع السابق.
[3] من آفاق الكلمة، سيرة موجزة للدكتور مازن مطبقاني، بتاريخ : الإثنين 09 يونيو 2014.
Mazinmotabagani. Blogsfot. Com /2014/06/bloy-post-679.html/

ب. النشاطات العلمية و الثقافية:

بدأ الدكتور مازن بممارسة هواية الكتابة منذ السنتين الأخيرتين في المرحلة الثانوية حيث كان يمارس هواية كتابة المذكرات، وواصل كتابة المذكرات حينما انتقل إلى الدراسة في الولايات المتحدة. و كان من العادات التي تأصلت لديه هواية القراءة. فقد قرأ كثير باللغة العربية و كذلك باللغة الانجليزية بطريقة جيدة، و أصبح يكتب الشعر المرسل بتلك اللغة و عندما عاد إلى المملكة عام 1393هـ (1973م) التحق بالعمل مترجماً بجريدة المدينة المنورة. و هناك كتب خاطرة و عرضها على الأستاذ سباعي عثمان رحمة الله فأعجبته و قال له أكتب رسمك فقام بنشرها ثم تشجع مازن و كتب خاطرة أخرى و لكنه بعد أيام كتب مقالة طويلة بعنوان فتأكد له أن لديه موهبة الكتابة و لكنه كان بحاجة إلى من يأخذ بيده و يرشده إلى فنيات الكتابة و تقنياتها و لكنه لم يجد ذلك الشخص.

و بعد أن التحق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة كانت الكلية تقدم دورة في اللغة العربية يقدمها الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخرّاد. و مدة الدورة ثلاثة أشهر تعطي الد ارس معلومات أساسية في اللغة العربية و في الكتابة، فتعلم منها الكثير مما أثر في نشاطه الكتابي حيث بدأ كتب بصفة شبه منتظمة في ملحق التراث بصحيفة المدينة المنورة[1].

و قام الدكتور مازن بنشر عدد من الكتب قبل الحصول الدكتوراه و هي:

- من أفاق الإستشراق الأمريكي المعاصر : و هو عبارة عن تقرير عن رحلة علمية قام بها الدكتور مازن في أثناء إعداد بحث الدكتوراه إلى كل جامعة برنستون و جامعة لندن.
- العرب في مواجهة الإسلام: يتناول هذا الكتاب اهتمام العرب بالحركات الإسلامية التي يطلق عليها " الأصولية الإسلامية".
- أصول التنصير في الخليج العربي: و هذه رسالة ماجستير باللغة الانجليزية قدمها أحد الطلاب في جامعة برنتسون تدرس نشاطات البعثة التنصيرية التي عملت في الخليج العربي من عام 1989 حتى 1974.

[1] الموقع السابق.

- نبش الهذيان من تاريخ جورجي زيدان: هذه رسالة صغير ألفها أحد علماء المدينة المنورة و هو الشيخ أمين بن حسين الحلواني المدني[1].

ج. **المحاضرات العامة و المؤتمرات:**

من النشاطات الأساسية لعضو هيئة التدريس القيام بإلقاء العديد من المحاضرات في الأندية الأدبية في أنحاء المملكة العربية السعودية و كانت كالآتي:

1/ نادي المدينة المنورة الأدبي في 14 رجب 1409 بعنوان (من أفاق الإستشراق الأمريكي المعاصر).

2/ نادي المنطقة الشرقية الأدبي 16 محرم 1416 بعنوان (الجديد في عالم الإستشراق) .

3/ نادي أبها الأدبي 8 ربيع الأول 1417 بعنوان (المعرفة بالآخر؛ دراسة للظواهر الاجتماعية في العرب.

4/ نادي القصيم الأدبي 18 جمادى الآخر 1418 بعنوان (المرأة المسلمة في الكتابات الإستشراقية).

5/ نادي مكة المكرمة الثقافي 7 شعبان 1417 (من قضايا الدراسات العربية و الإسلامية في الغرب[2].

د. **النشاط الإذاعي و التلفزيوني:**

برامج تلفازية:

- كان ضيفاً لحلقتين من برنامج (نافذة على الثقافة و الفكر) في التلفزيون السعودي القناة الأولى حول الدراسات العربية و الإسلامية في الغرب و قد عرضتا يومي 14 و 21 شوال (3-10 مارس 1996).
- ضيف برنامج "حوار الثقافة" في تلفزيون المملكة العربية السعودية القناة الأولى حول الموضوع نفسه.

---

[1] الموقع السابق.
[2] الموقع السابق.

- المشاركة في ندوة من حلقتين مع شبكة راديو و تلفزيون العرب (ART) شارك فيها كل من المستشرقة نادية انجلسكو و أنس خالدوف؛ ومحمد أعبود و جعفر بن الحاج السلي حول الإستشراق في برنامج (الإسلام و قضايا المجتمع) تقديم السيد رؤوف. عرضت الحلقة الأولى يوم 23 شوال 1417 (2 مارس 1997) و عرضت الحلقة الثانية بعد ذلك لأسبوع و أعيد عرض البرنامج في قناة اقرأ الفضائية بعد ذلك.
- تحدث في برنامج (حوار الثقافة) للتلفزيون السعودي حول قضايا الإستشراق على هامش فعاليات الجنادرية الثالثة عشرة عرض مساء يوم السبت الموافق 19 صفر 1419، 13 يوليو 1998.

المشاركة في برنامج قناة "اقرأ" الفضائية (مدارات الأحداث) بعنوان (هوليوود و صورة العرب و المسلمين) على الهواء مباشرة مدّة ساعتين يوم الخميس 23 رجب 1419، 12 نوفمبر 1998) شارك في البرنامج من الإستيديو الدكتور محمد ناصر شوكاني و أدار الحوار و البرنامج الدكتور عبد القادر طاش[1].

[1] الموقع السابق.

الخاتمة:

و أخيرا خلصت في خاتمة هذا البحث إلى جملة من الاستنتاجات نستعرضها فيما يأتي:

- لقد سبق لنا في بحثنا هذا التعرف لمصطلح علم الإستغراب بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحي العقدية و التشريعية، و التاريخية و الجغرافية، و الإقتصادية و السياسية و مختلف حضارته....إلخ، و هذا المجال لم يصبح بعد علما مستقلا، و لكن من المتوقع في ضوء النهضة العلمية التي تشهدها البلاد العربية و الإسلامية أن تقوم بإنشاء أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصصية في المجلات العقدية و الفكرية و التاريخية و الإقتصادية و السياسية.

- كما تطرقنا كذلك إلى معرفة الغرب من حيث ميلاده أي بالنسبة لقارة أوربا و تاريخها الخاص بها، كما تعرفنا كذلك على نهضة الغرب أي من حيث تطورها و تفوقها العلمي من علماء و مفكرين....إلخ، كذلك بالنسبة للتفوق و ازدهارها الثقافي و الإقتصادي و العسكري....إلخ.

كما أشرنا كذلك في موضوع بحثنا غلى نشأة هذا العلم و جذوره و امتداده، و أهم المجالات المعرفية التي تناولها العرب من خلال دراستهم و اكتشافاتهم للغرب.

كما استنتجنا كذلك أن الإستغراب مهام ووظائف عديدة كذلك تعرضنا إلى الإستشراق و سلطنا الضوء على مدى الفرق أما الإستشراق و الإستغراب.

أما الإستغراب الحديث فيمكن أن تكون بدايته تقريبا مع رفاعة الطهطاوي و خير الدين التونسي و كان من أبرز ما اهتم الاثنان به النظام السياسي الغربي القائم على الإنتخاب و الحريات السياسية و بعض علماء الأتراك و الأدباء و المفكرين، كما ظهر مستغربون معاصرون منهم من تمسك بالهوية الإسلامية و منهم من تخلى عن هذه الهوية و من هؤلاء على سبيل المثال: طه حسين و أحمد أمين، و أحمد لطفي.

- كما لا يخفى وجود أثار مترتبة على كل من الإستشراق و الإستغراب حتى أنها تمثل صراخ بين الحضارات. فكل منهما سلاح ليتصدى للأخر كما يتضح من المسمى و معكوسه، و لا ينسى فضل كل منهما في المساهمة في تنمية الثقافات الداخلية عن طريق دراستها و التعمق فيها و لكن ينبغي الحذر في النقل منها و دراستها.

- كما استنتجنا كذلك أن دراستنا للغرب لا شك استخلف عن دراسة الغرب لنا، ذلك أن الغرب بدأ بالإستشراق فيه منطلقا من التوجيهات و أوامر البابوات لمعرفة سر قوة المسلمين و انتشار الإسلام في البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية.

- و استنتجنا أيضا أن علم الإستغراب لن يكون لتشويه صورة الغرب في نظر العالم ذلك أننا ننطلق في قوله تعالى (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

تلك هي أهم النتائج التي استطعت الخلوص إليها، من خلال فصول هذا البحث و مباحثه و لا أزعم أني قد أوفيت البحث حقه من جميع الجوانب، فتلك غاية لا تدرك مع ضيق الوقت و قلة المراجع و لكن أحسب أنها قد قدمت صورة عامة عن علم الإستغراب.

و الله من وراء القصد.

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر و المراجع.

- أحمد الشيخ، من نقد الإستشراق إلى نقد الإستغراب، دار النشر المركز العربي للدراسات الغربية،ط1 يناير 1999.

- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي 1998.

- أحمد عبد الرحيم السايح، الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، دار النشر المصرية البنانية، ط1 1417-1996م.

- ادوارد سعيد، الإستشراق " المفاهيم العربية للشرق"، دار النشر القاهرة، ط1 2006.

- برتراند بادي، فليب برو، ترجمة هيثم اللمع، عالم السياسة و المؤسسات السياسية، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، ط1، 1425/2005هـ.

- جمال الدين أبي فضيل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول ، بيروت، ط1 2003م- 1434هـ.

- زكاي لوكمان، تاريخ الإستشراق و سياسته، دار الشروق، ط1.

- حسن حنفي، مقدمة في علم الإستغراب، دار النشر الفنية للتوزيع 515-1991، ط1 1411هـ/1991م.

- حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، دار النشر، بيروت، ط1 .

- طيب تيزيني، من الإستشراق الغربي إلى الإستغراب المغربي، دار النشر "دمشق"، ط1 1000هـ/1996م.

- يان بوروما و أفيشاي مرغليت، ترجمة ثائر ديب الإستغراب موجز تاريخ النزعة المعادية للغرب، د.ن،د.ط.

- مالك ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر بدمشق.

- مازن مطبقاني، الإستشراق، د.ط.

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز الأبادي، قاموس المحيط، دار النشر نوبلس، بيروت، مجلد الأول، ط1 2006.

- محمد حافظ دياب، ذاكرة الإسلام و العرب، دار النشر القاهرة، ب ط.
- محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، تاج الدروس، مجلد الثاني، دار النشر ، بيروت، ط1 2007.
- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة و الإسلام و الغرب، بيروت، ط1 .
- محمد علي اسماعيل، الإستشراق بين الحقيقة و التضليل، د.ط.
- سعيد علوش، إشكالية التيارات و التأثيرات الأدبية في الوطن العربي، المغرب، ط1 .
- سمير سعيد حجازي، معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس و الإجتماع و نظرية المعرفة عربي فرنسي، بلد الطباعة لبنان، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2005.
- عادل بن بوزيد عيساوي، سؤال الإستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، دار النشر دمشق، سورية، سنة النشر 2016، ط1 .
- عبد الرحمن المعوي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، دار النشر، المركز الثقافي العربي، ط2 1999.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

- أنور محمود زناتي، الألوكة الثقافية، مصطلح الإستغراب، **03** ديسمبر **2012**، سا **16:00**.

www.alukah.net/culture/0/47271

- حسن حنفي، الإستغراب في مواجهة التغريب،"الإستغراب"، **20** سبتمبر **2015**، سا **11:00**.

Istighrab.iicss.iq/?id=188sid=20.

- يوسف زيدان، الموقف من الأخر الإستغراب جذوره و مشكلاته، المؤتمر، **05** حزيران **2014**، سا **21:00**.

www.almutamar.com.lindex/php?id

- مازن مطبقاني، من أفاق الكلمة، متى نشأ علم الإستغراب، بتاريخ **19** يونيو **2012**، سا **10:00**.

Mazimmatbagani.blogspot.com/2012/06.blog.post-990htlm

- مازن مطبقاني، مركز المدينة المنورة للدراسات و بحوث الإستشراق

www.madinacenter.com/postphp?Datald=231.

- مبروك بوطوفة، علم الإستغراب و الرد على المركزية الأوربية، أرنتروبوس "الموقع العربي الأول في الأنتروبولوجيا"، **30** ماي **2013**، **15:00**.

www.aranthropos.com /علم الإستغراب/

- محمد إلهامي، تأسيس أصول علم الإستغراب، "ن بوست"، دت، سا **07:30**.

http://www.non.post.org/content/6572

- مجلة علمية محكمة تصدر سنويا عن مؤسسة وعي للدراسات و الأبحاث، سا **19:00**.

Wazefondation.net/pages/علم الإستغراب/

- عباده السيد، المجتمع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: قواعد عملية لتأسيس علم الإستغراب، بتاريخ **24** نوفمبر **2014**.

- عبد الله الشارف، "الإستغراب لغة و اصطلاحا"، سا **09:00**.

www.charefb.com/?p=67.

- علاء الدين أحمد خليفة، ضياء العسل، الإستشراق و الإستغراب بتاريخ **11** نوفمبر **2013**.

Diyaasal.blogspot.com/2013/11/blag-post-11html.

- عمر أبو جمال بن جاسم، الجمعية الدولية للمترجمين و اللغويين العرب، "الإستغراب"(مقابلة الإستشراق) دعوة لدراسة الغرب، بتاريخ **19-02-2012**، سا **03:12**.

www.wata.cc/farums/php?93332

الفهرس